إبراهيم عيسى

أفكار مهددة بالقتل

من الشعراوي إلى سلمان رشدي



أفكار مهددة بالقتل

من الشعراوي الى سلمان رشدي

ابراهيم عيسى

الطبعة الأولى

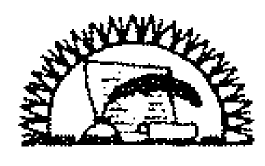
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

مطابع ستار برس للطباعة والنشر

٤٠ ش المحولات الكهربائية محطة المطبعة - الهرم ت ٨٦٤١٥١

رقم الايداع : ١٩٩٣/١١٥١٩

I-S-B-N:977-5193-54-0



مكتبة مدبولي الصغير

٤٥ ش البطل أحمد عبد العزيز ت: ٣٤٧٧٤١٠

ميدان سفنكس خلف سينما سفنكس ت: ٣٤٦٣٥٣٥

الإهداء

الى شادي.. أخي

وحاتم.. ابن أختى،

حباً يفوق الوصف

ابراهيم

نوفمبر ٩٣

يصلح مدخلا لهذا

الكتاب

ولكتب أخرى

□ كل مـــا أتمنـــاه أن يذهـــب الناس الـى نومـــهم مطمئنين... وبقدر الإمكان سعداء.

وكل مـا أحلم به.. أن يُحيي الناس بعضهم في الصبح بحرارة.. وبحب.

وكل مـا أريده.. أن يحمل الرفاق والأصدقاء نعش الأحبة دامعين.. ثم يتذكرونهم بعد الجنازة... ويتذكرون محاسن موتاهم.

كل ما أهفو إليه.. أن أمسك بيد إبني وأوصله حتى باب المدرسة.. ويعود ليحكي لي ماذا قالت له المعلمة..

كل ما أطمح إليه.. أن يرضى والديّ عليّ ويدعون لي بعد صلاة الفجر.. ثم يدعون لكل أحبائي... ويدعون لمصر.

كل ما أسعى إليه.. أن يضحك الناس من قلوبهم.. ثم يقول أحدهم اللهم اجعله خيراً..... ثم يكون خيراً.

كل مـا أطلبه.. أن نصبح شعباً يليق بوطن كـان عظيماً.

كل مـا يلح عليّ.. أنني سأموت... ياليتني أموت مـرتاح الضمير.. لديّ مـا يجزيني ربي به وألا أشعر بالخزي يوم العرض عليه.

وأن يكف دمعي عن النزول [illegible]

إبراهيم

الفهرس الذي صار مقدمة

١ ـ قصائد الشعراوي لا تصلح للفتوى: لم أكتب عن شيخ أكثر مما كتبت (حتى الآن على الأقل) عن الشيخ متولي الشعراوي حتى أن قارئاً اتصل بي ذات مرة من المنصورة ليسألني هل بينك وبين الشيخ الشعراوي شيء؟!

والحقيقة أنه كان سؤالاً مباغتاً بنفس كونه سؤالاً مباشراً وبسيطاً.

وهل بينك وبين الشيخ الشعراوي شيء؟

لقد قلت له ـ أبداً.. إنه شيخ جماهيري، واسع النفوذ والتأثير ومن ثم فإن أياً من آرائه أو فتاويه أو سلوكياته تصبح ذات أهمية كبيرة لأنها ذات تأثير أكبر.. إنكم تصدقونه، فحين أراه مخطئاً ـ أو حين أراني مختلفاً معه ـ أسارع وأعترض وأفند وأناقش وأحياناً أهاجم.

اذا كان الشعراوي لا يتمتع بهذه المساحة من القداسة لدى الناس، لم أكن لأجعل منه هدفاً لكتاباتي وهجماتي (..)

بل والحق يقال إن الرجل ـ بكل ما يقوله ويزعمه أحياناً ـ يدفعني دفعاً للخلاف معه والاختلاف عليه وتشريح وتفنيد كل ما يقوله.. فلم أر شيخاً يمثل مجموعة من الأفكار الرجعية المناهضة للعلم والتقدم إلا الشعراوي ولم أصادف ـ حتى الآن على الأقل ـ رجلاً يستخدم كل المنحة الربانية التي أنعم بها عليه فيما يخدم التخلف بمثل ما رأيت الشيخ الشعراوي.

وإذا كانت أفكاره ضد العلم والمرأة والتسامح والديمقراطية والمسيحيين لهانت (أي والله لهانت) لكن أن يتحول الرجل الى سيف مسلط على رقابنا اذا اختلفنا أو عارضنا وأن يصير «بابا» فاتيكان على الطريقة الاسلامية، وأن يصبح كذلك جسراً تعبر عليه الفتاوى الرسمية والسلطانية والمتطرفة على السواء، وأن تتجسد أفكاره وسلوكياته نموذجاً للإسلام البدوي والفقه النفطي و.. وهذا الفصل الذي أتعرض فيه للشعراوي ـ وأعارضه، يتركز على خصلة رئيسية وركيزة أساسية في حياة الشعراوي وهي تملقه ونفاقه لأصحاب السلطة والمال والجاه، وولاؤه القريب لكل رئيس (بالفتاوى وبالقصائد).

ان الشيخ الشعراوي نموذج خالص وواضح أشد مايكون الوضوح لرجل الدين الذي يستخدم الدين، ولا يستخدمه الدين.. انه خلاصة تاريخ الرجل يتمثل في هذه السطور التي كتبتها وكل همي على معجبي ومحبي ومريدي الشعراوي، وكل ذنبي أنني فهمت كيف يؤثر؟ بعد أن عرفت كيف يفكر؟ ثم قررت أن أواجه تأثيره وأن أحارب تفكيره.

أعود الى القارىء الذي سألني هل بينك وبين الشيخ الشعراوي شيء..؟ وقد عاد ليسألني ومن أنت كي تختلف مع الشيخ الشعراوي؟

وأجيب (أو أحاول) فأقول أن الشعراوي ـ على حد علمي ليس

نبياً ـ كما أنه ليس مرسلاً من لدن حكيم خبير ومن ثم فهو رجل.. نعم رجل ونحن رجال... أما انه قد درس في الأزهر وتعلم وعلّم وخطب وفسر، فهذا حقيقي وهام.. لكن ألم يكن الخوارج الذين عاثوا في الأرض والاسلام فساداً إلاّ مجموعة من القُرّاء الحفظة للقرآن الكريم الذين رفعوا المصاحف فوق أسنة الرماح ليحكم ـ القرآن ـ بين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه وكرّم وجهه ـ وبين معاوية بن أبي سفيان.

انهم أنفسهم الأبطال الشجعان الفقهاء الحفظة الذين قتلوا مئات المسلمين وأباحوا دماء آلاف الأخوة في الدين والعقيدة ثم ألم يكن عبدالله بن سعد أبي سرح كاتباً للوحي عند النبي محمد صلى الله عليه وسلم.. وهو نفسه الذي خرج ليقول انه كان يضيف ويحذف في الوحي وأن النبي لم يكن ليدرك ذلك بل يوافق دون أن يدري على قرآن عبدالله وليس القرآن المُنزل المُنزه المحفوظ.

اذا كان فضل كتاب الوحي والاقتراب من النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لابن أبي سرح ذلك.

فلا عشنا ولا عاش (!!)

ثم ألم يكن أبولهب عم النبي بن عبدالله بن عبدالمطلب؟!

٢ ـ شيخ الأزهر بين عبدالناصر وجيهان السادات: مرة أخرى

نعود للمقدسات المتوهمات (..) ان هذا الفصل ليس أكثر من تأكيد أمرين: ان منصب شيخ الأزهر ليس حصانة لأحد ضد أحد، كما أنه ليس - أبداً - معادلاً لكهنوت كنسي أو رهبنة مسيحية أو قلعة ضد النقد أو المناقشة.

شيخ الازهر فوق «عينا وراسنا» لكنه ليس فوق الحوار والجدل.

ثم إن كل ما نسعى اليه - وسنظل نسعى - ألا يصبح الأزهر مؤسسة تكفير ضد التفكير ومع احتكار الدين ضد الآخرين (مفكرين أو حتي معارضين) ان الله لم يعط مؤسسة ولا شخصاً، جهةً ولا فرداً حق التحدث بإسمه ولا تفسير قرآنه وشرح حديثه.

إن ما بيننا جميعاً هو حق وحرية الحوار والمناقشة ضد ما نختلف معه أو عليه، وكل ما يحفظ حقوقنا هو التزامنا - كلا الطرفين - باحترام الخلاف وقبول الجدل والرضوخ للحق.

أما الأمر الثاني الذي قصدته من هذا الفصل، فهو التأكيد على أن الخلط بين الدين والسياسة، واستخدام السياسة للدين واستخدام الدين للسياسة وكل هذه التدابير والمحاولات والمؤامرات تليق بأهل السياسة والأحزاب والحكم، لكنها لا تليق بالعلماء والفقهاء.

ومن ثم لا يصح - ولا يجوز أبداً - أن يعمل العلماء - حتى لو

كانوا علماء الهندسة الوراثية – عند السلطة أو السياسة.. كما لا يصح – ولا يجوز أبداً – أن يتحول العلماء والفقهاء الى أدوات في أيدي الأجهزة والحكومات والأنظمة، داخلية كانت أم خارجية، وتحت أي شعار وبأي أسم وأي لافتة، مؤتمرات، أو ندوات أو روابط وتنظيمات لا أحد يؤجر عمامته.. من أجل غرض أو مرض لصالح سفير أو وزير، أمير أو سلطان.. أو منصب وجاه.

وإنني على يقين أن كثيراً مما أريد أن أقوله مضمر ومستتر وأن علانيته شاقة وصعبة، لكنها ـ بكل ما تملك من قوة الحق – قادمة وآتية لا ريب فيها... نكاد نراها.

٢ ـ تكفير الشيخ الغزالي... قلت وأقول دوماً أنني أحب الشيخ محمد الغزالي، وهو في غنى عن حبي كما أنا في غنى عن حبه أو كراهيته (..) إن ما يجمعني معه هو أجر البحث عن العلم والمعرفة وخدمة الدين والمسلمين.. أما إن أصبنا فلنا أجران وإن كنت أتمنى أن أحظى بهما وأحصل عليهما إلاّ أنني ـ راض أشد ما يكون الرضا ـ حتى بالأجر الواحد (!!).

الشيخ الغزالي رجل مستنير وفاهم، مقاوم للفقه البدوي المتشدد، له أفكار كثيرة عن المرأة والدين والفن أكثر تقدماً من شيوخ آخرين كثيرين أعمتهم فتاوي النفط وروابط الأنظمة (..) وغوغائية المتطرفين وجماهيرية الإرهابيين (..).

ومع ذلك فإن الرجل قد صدمنا تماماً بما أفتى به وفيه في قضية المفكر الراحل فرج فودة الذي أغتيل بأيدي الإرهابيين تحت زعم ودعوى أنه مرتد.

وقـ ... ا هذه الأفكار الواردة في فتوى الغزالي أمام المحص. مع احتفاظي التام بإحترام الإختلاف لكن الدرس الذي تعلمته من صدمة فتوى الغزالي التي تبيح القتل (..) هو أن الولاء والحب لا يكون للأشخاص ولكن للأفكار، كما ان الخلاف والاختلاف لا يكون مع الأشخاص ولكن مع الأفكار (..) إن الحب والكراهية دائماً للنصوص قبل الشخوص.

الشيخ الغزالي دمث وهاديء ومفكر ومستنير، لكن له أفكاراً سوداء وآراء مظلمة وفتاوى قاتلة نحن إذن نحب دماثته ونؤيد استنارته، لكننا نختلف ونعارض ونهاجم سوداوية وظلامية فتاويه الأخرى.

لا خير - إذن - فينا إن لم نقلها للغزالي ولا خير - فيه - إن لم يسمعها.

وقد قلنا

اما أنه قد سمع

فالله أعلم

٤ - أنف شاهين... أما شاهين فهو د. عبدالصبور شاهين

الأستاذ بكلية دار العلوم.. أما أنفه.. فهو الموضوع كله. إن د. شاهين نموذج خالص مصفى لما حدث في مصر خلال ٢٠ عاماً هي «أسود» ما عاشته مصر في الحقيقة.

لقد تحول الرجل من مجرد مدرس بكلية دار العلوم الى نجم ديني ولا مانع من النجومية الدينية (رغم أن كل النجوميات في الدنيا مسموحة إلاّ نجومية الدين فمخاطرها أخطر كثيراً من مخاطر نجوميات أخرى)... النجومية الدينية جرت بانتظام وبخفوت وبدأب.. أولاً فتحت له أذرع الصحف القومية والحكومية ثم أبواب الاذاعة والتليفزيون، ثم صار منذ ١٩٨١ وعقب اغتيال الرئيس السابق أنور السادات في حادث المنصة الدموي الشهير، صار نجماً رسمياً محاطاً برعاية وحفاوة من الحكومة المصرية، فالذي حصل أن البعض قد قرر خوض عملية غسيل للأفكار المتطرفة في أدمغة الشباب (..) فنظم من خلال التليفزيون شيئاً اسمه «ندوة للرأي» كانت تذاع كل يوم جمعة في الساعة السادسة والربع مساءً، مجموعة من العلماء (أو من يعتقد الذي أتى بهم أنهم كذلك) تتحاور (ثم أصبحت تحاضر) مجموعة من الشباب في الجامعات وبعدها عمالاً في مصانع وشركات، وكانت الحلقات تذاع بانتظام على مدى سنوات، وأحد ضيوفها الهامين والاسبوعيين والدائمين د. شاهين.

وحسب الناس أن هذا هو الدين..

نعم.. لقد كانت هناك عشرات الفتاوى والآراء الرجعية المتخلفة المتسترة بالدين تذاع وتلقى من خلال هذه الأفواه وهي كافية وحدها لإشعال حمى التطرف وإعداد النفوس لإرهاب أقسى، وبينما كانت حلقات الشعراوي التليفزيونية تذاع من ناحية، كانت حلقات شاهين ورفاقه تذاع من ناحية أخرى، فضلاً عن برامج أخرى تصب في نفس المصب.

ولا أظن أن كلامي هذا يعني انني ضد البرامج الدينية في التليفزيون.. أبداً.. لكنني ضد نجوم البرامج الدينية في التليفزيون المصري كلية وتماماً، وقد يكون أحد العوامل صاحبة الأثر في تكوين مساحة تعاطف كاسحة وواسعة للمتطرفين والفكر المتطرف.

المهم أن د. شاهين صار منذ هذا اليوم ماركة مسجلة على أنه مرجعية هامة في التفكير الديني. كذلك على أنه واحد من المرضي عنهم والمفضلين لدى جهاز الحكم في مصر، وبعد فترة ليست قصيرة كان هذا الرجل نفسه عضواً بمجلس إدارة شركة الريان لتوظيف الأموال، وهي شركة ثبت بما لايدع مجالاً للشك أو التشكيك أنها شركة «نصابة» «أكلت حقوق الناس بالباطل» و«تاجرت بالدين» وما فلحت تجارتها.

كان عبد الصبور شاهين نجم فتاوي هذه الشركة وأحد رموزها ومفضلاً لدى أصحابها، بل كان أيضا واحداً من عشرات

الشيوخ الذين حصلوا على شهاداتهم العلمية من الجامعات وشهاداتهم الجماهيرية من التليفزيون وكانوا جميعاً في خدمة «الريان»، كما كان بعضهم تحت «ذقنه»!!

ماذا جرى؟

انتهت مأساة ومسخرة الريان.. بينما ظل كل رموز شركاته نجوما في الدين.. والتليفزيون.. وانفرد د. شاهين بخطبة الجمعة في مسجد شهير بالقاهرة، وظل ضيفاً رسمياً ودائماً على التليفزيون المصري، ثم ماذا جرى؟

ولا حاجة..

ما جرى هو ما يجري في مصر منذ ٢٠ عاماً، هؤلاء الذين يتغطون بالتليفزيون واللحى امتلكوا مساحات هائلة من التأثير في الناس، بينما لم يستطع أحد ولم يجرؤ شخص على مواجهتهم وتعريتهم، وبينما استغنوا هؤلاء تماماً عن كل فتاويهم وأحاديثهم في الستينات حيث كانوا يؤيدون النظام الاشتراكي بالآيات القرآنية والفتاوى، اغتنوا هذه المرة بالفتاوى والآيات القرآنية لصالح الرأسمالية.

واستمروا يقومون بدورهم على خير وجه.. وخير ظهر، ومن أحد أهم الأدوار التي يلعبها هؤلاء هو الوقوف ضد العقل والاجتهاد.. ضد العلم والبحث.. ضد التنوير والعقلانية.

فلما تقدم د. نصر حامد أبو زيد الى جامعة القاهرة بمجمل

بحوثه ودراساته وكتبه للترقي الى درجة الأستاذية عرضت هذه الأعمال على اللجنة العلمية المنوط بها رفع تقريرها حول الترقية.

وكان أهم ما حدث هو تقرير د. عبد الصبور شاهين في أعمال أبو زيد.

والذي انتهى - تقريبا بالمعنى أو باللفظ - أن الرجل كافر أو أنه يطعن في الدين الاسلامي.

ثم قامت القيامة..

وصارت القضية كيف يبيح استاذ جامعي لنفسه حق التفكير!! والمساءلة والمناقشة والبحث العلمي!! وانطلقت حمم الاتهامات الباطلة الحقيرة ضد د. أبو زيد فقط لأنه اجتهد وبحث وكتب ونشر وكلها أفكار متاح للقرّاء الاطلاع عليها واكتشاف مدى الظلم الذي عانى منه مفكر كبير مثل د. أبو زيد الذي كل ما فعله هو حق قراءة المراجع الدينية وطرح القضايا التي أثيرت قديما في زمن أكثر صلاحية للإستخدام الآدمي.

واستثمرت صحيفة «عقيدتي» التي تصدرها دار التحرير برئاسة سمير رجب وهي صحيفة جامدة ورجعية وخادمة للتطرف ومشعلة للإرهاب، تستخدم وتستكتب أفكاراً وأقلاماً من أشد عصور الاسلام والمسلمين ظلمة وعتمة وتقود معارك - هل هناك من يدفع حسابها؟ - ضد العقل والدين الاسلامي الذي يناصر

الحرية والمناقشة بل .. والجدل بالتي هي أحسن.

ونشرت ان هناك دعوى قضائية مقامة من الأزهر الشريف لتفريق د. أبو زيد عن زوجته بحجة أنه مرتد ثم عاد الأزهر ونفى ذلك تماماً.. لكن سرعان ما برقت الفكرة في ذهن أحدهم..

وأسرع بإقامة الدعوى..

وصارت قضية الردة هي آخر «بدع» التطرف الديني!!

وحين كنت واحداً من الذين تدافعوا لحضور إحدى جلسات هذه القضية في محكمة الجيزة.. وبين عشرات الوجوه التي حضرت والهتافات التي دوت في ممر ضيق طويل منطلقة من شبان جاءوا للتكاتف ضد الارهاب الفكري قبل الارهاب المسلح.

قررت أن أكتب هذا الفصل..

عن الردة..

وعن أن د. نصر حامد أبو زيد مسلم وموحد بالله ولا اكراه في الدين رغم أنف عبد الصبور شاهين.

وهذه حكاية أنفه!!

٥ - زواج المتعة.. أعود الى القراء (وهم كثر وأسئلتهم أكثر والحمد لله) لقد سألني أحدهم هل تتبع منهج د. فرج فودة؟

والحقيقة أنني لا أعلم ماذا يقصد بمنهج دكتور فرج فودة..؟

لقد أجبت عليه (وهاأنذا أعيد الإجابة) أن لكل منا أفكاره وآراءه ومنهاجه، وانني أحترم د. فرج فودة - يرحمه الله - ودافعت - وسأدافع دوماً - عن حقه وحريته في الكتابة والاختلاف والمعارضة والمواجهة لأفكار التطرف أو حتى لأي أفكار، فهذا ما يمليه عليّ منهجي، وهو منهج اسلامي بحت، أن اختلاف الفقهاء رحمة،

وقد جئت لأؤكد رحمة الله بنا وبالناس وبالفقهاء فكتبت واختلفت (..)

أنا كاتب معارض للإرهابيين والسلطة معاً.

وكاتب مهموم جداً بقضايا ديني ووطني.

وانتصر للعقل تماماً وأعتقد أن أعظم قاعدة فقهية في التاريخ الاسلامي هي «صريح المعقول مع صحيح المنقول».

وهكذا أحاول دوماً أن أفكر فيما هو معقول وأقارنه بماهو منقول... ثم أقول.

هل هذا هو منهج أحد آخر، د. فرج أو غيره لا أعرف.

والله لا أعرف.

لكنه المنهج الذي أتبعه.

وعلى هذا الطريق بالضبط سرت في فصل زواج المتعة الذي

تعرض لكتاب يحمل نفس العنوان للدكتور فرج فودة يرحمه الله.. ألف رحمة.. ونور.

٦ ـ كلام آخر عن سلمان رشدي (...) إنه الأسم الذي يصيب كثيرين «بالأرتيكاريا» ويسبه ويلعنه على الأقل نصف سكان الأرض المسلمين.. ومع ذلك فإن هذا الفصل ليس أكثر من كلام آخر ومختلف عن سلمان رشدي.. وقد قصدت به أن أؤكد على أكثر من معنى.

الأول.. ن الواجب على أي مسلم عادل ألا ينساق وراء الغوغائية والقطيعية.. وعليه دوماً أن يفكر ثم يتفكر.. يسأل ثم يتساءل.. ثم يقرر.

الثاني.. أن الحقائق دائماً مخفية ومشوهة وتائهة وأن أحداً لا يمكنه أن يحصل على الحقيقة الكاملة إلا بالتروي والتأني والتمعن والتفسير والتأويل وأن ليس كل ما يقدم لنا حقيقي لنصدقه ولنجري وراءه ونلهث خلفه.

الثالث.. أنه ليس أسوأ من استخدام الدين في سمسرة الدنيا وسمسرة السياسة... ليس أسوأ كما أنه ليس أكثر.

٧ ـ قتل الفنانين.. وهذا الفصل الذي يروي دقائق وتفاصيل أبشع جريمة تُرتكب بأسم الدين ضد الفن. إنه فصل يشرح ويحلل عملية «نصب» كاملة تمثل ـ دون معاناة في التحليل

والاستنتاج والاستنباط.

أ - الحرب التي تخوضها السعودية وشركاها ضد الفن المصري.

ب - العزف على أوتار الجماهير البسيطة الساذجة المهيئة لتصديق أمور تافهة وخطيرة - في الآن معاً - دون أي تفكير...

جـ - التجارة باسم الدين.

وعند هذا الفصل أرى جروحاً نازفة في العقل المصري الذي ترك نفسه ليستسلم لكل هذه الأفكار السقيمة المريضة الهشة التي تتستر بالدين ثم يصدقها آلاف - وملايين - البسطاء السذج.

كيف؟ ولماذا؟ وإلى متى؟

أتمنى أن يجيب القارىء على هذه الأسئلة حين يصل الى نهاية هذا الفصل.. ثم نهاية هذا الكتاب.

٨ - ساندرا.. الاعتراف بأن العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في مصر قد تغيرت وتبدلت وتشوهت وتلوثت.. هذا الاعتراف هو الحل الأول لإنقاذ مصر من مشكلة طائفية حقيقية.

أما إصرار البعض على أن مصر بلد التسامح وأن الشعب المصري طول عمره طيب ومسالم ويحب شقيقه المسيحي وهذه القصص - الجميلة فعلاً والحقيقية تماماً - عن المشاركة والتوحد

بين المسلمين والمسيحيين في مصر.. لم تعد تجدي.

لقد تبدلت وتشوهت العلاقة.. هذه النتيجة ليست قاطعة وحاسمة، فمن حق القارىء أن يختلف معي أو يخالفني، ومن حق البعض أن يتهمني بالمبالغة، لكن لدي من المظاهر عشرات ومن الوقائع مئات لأثبت أن العلاقة قد تغيرت، ليست فقط هذه الجماهيرية الكاسحة والضخمة لشيوخ جعلوا من التفرقة بين المسلمين والمسيحيين شرط نجاحهم وجسر جماهيريتهم وعلى رأسهم عبد الحميد كشك وعمر عبد الكافي والشعراوي وليست في حوادث الفتنة الطائفية التي تخرج لنا كل فترة، وليست في حوادث القتل الجماعي للمسيحيين في الصعيد (مع احترامي لكافة الأسباب الأخرى التي يقولها المتعاطفون مع المتطرفين!) وليست في هذا الانتشار المدوي لشرائط الكاسيت التي تتضمن رفضاً للمسيحيين وتحمل عناوين مثل «كنت نصرانيا» «حوار مع نصراني» وليست كذلك في الجماهيرية الضخمة لأحمد ديدات هذا الرجل القادم من امريكا بمناظرته التليفزيونية مع القساوسة، وليست كل مظاهر الحياة اليومية التي تشرخت فيها العلاقة بين المسلم والمسيحي.

ليست هذه أسبابي أو شواهدي..

بل سببي الرئيسي هو أنني أكتب الآن هذا الكلام، نعم - حتى لو كنت مبالغاً - فإن احساس كاتب مصري واحد بأن العلاقة قد

تهدمت - أو في سبيلها - داخل المجتمع بين المسلمين والمسيحيين، بل للجوئنا لاستخدام تعبيري مسلم ومسيحي في الكلام من المصريين.. كل هذا دليل على أن شيئا ما قد تبدل.

لقد صارت فعلاً جماعة ضخمة من المسلمين المصريين على قناعة أن المسيحيين كفرة (!!). آه والله كفرة يا ابن الكلب

وهناك جماعة أخرى من المسيحيين المصريين يرون أنهم فقدوا مبرر وجودهم في مصر بعدما جرى.

انني أكاد اخرج أجري في الشوارع كبلهاء حي السيدة زينب لأحذر من أن النار قد اشتعلت في مصر بين المسلمين والمسيحيين.. نار مكتومة مكبوتة في الغالب لكنها قائمة على التفرقة بينهما وعلى العنصرية المتبادلة.. والحقيقة أنني أحمل المتطرفين ثم المسلمين مسئولية ماحدث ثم أحمل في نهاية الأمر وبشكل ثانوي المسيحيين هذه المسئولية.

لأن المسلمين هم الأغلبية، لايصح - كما لايجب أبداً - ان نرى الخطر قادم من الأغلبية بينما نجري بالعصا لنؤدب الأقلية.. نعم، يتحمل المسلمون هذه المسئولية، ليس فقط لأنهم الأغلبية بل أيضا لإستسلامهم لكل الأسباب التي تمت واكتملت خلال عشرين عاماً لتؤدي الى كل هذه النتائج التي تمت واكتملت الآن أمام أعيننا.

مثلا..

أ - المد الضخم والسرطاني للتيار المتطرف في الجامعات والذي بدأ فوراً الفصل بين المسلمين والمسيحيين شرطاً لاثبات وجوده وإستعراض قوته وإلقاء اللوم على الآخرين وإحكام نظرية المؤامرة الكونية ضد الإسلام والمسلمين سبيلاً للحشد والتعبئة.

ب - المدارس الاسلامية الخاصة، لقد عرفت مصر منذ الأبد مدارس الراهبات والمدارس المسيحية، لكنها كانت تستوعب داخلها المسلمين والمسيحيين معا، وهناك الآلاف وربما الملايين الذين تخرجوا من هذه المدارس دون ان يحملوا كارثة الفتنة والتفرقة بل كان هناك حرص شديد من عائلات شتى على إرسال أبنائهم المسلمين وخاصة البنات الى مدارس الراهبات لهذه الصرامة في التربية الأخلاقية التي يلتزمنها الراهبات في التدريس. لكن المدارس الإسلامية الجديدة (وهي تتكاثر وتتزايد) بدأت أولا برفض الآخر، ثم حولت تربية الاطفال الى الفصل منذ أول لحظة بين المسلمين والمسيحيين ثم في مرحلة لاحقة أصبح على نفس المستوى وبنفس الحماس، الأم غير المحجبة كافرة والجار المسيحي كافر.. وهكذا نشأت أجيال تصل الآن الى العشرين من عمرها تقريباً على هذه الأفكار.

جـ - الاستيلاء شبه الكامل على مهنة التدريس، ان ١٦ من قادة

ماعرف بالجماعة الاسلامية في الصعيد كانوا مدرسين.. ومدرسين في المرحلة الابتدائية... كفاية.

د - نجومية شيوخ الفتنة وعلى رأسهم الشعراوي وعبد الكافي وتحولهم الى شخصيات من القداسة والأسطورية التي لايستطيع أحد أن يناقشها أو يجادلها أو يختلف معها.. ولمجرد الملاحظة العابرة فان معظم جمهور عمر عبد الكافي من النساء.. ثم الأطفال.. وهكذا (..)

هـ - (وهو أمر يستحق الأولوية الاولى في هذه الأسباب) ظاهرة الهجرة الى النفط، وقد تمكنت السعودية من «غرز» أفكارها العنصرية تجاه المسيحيين وتصديرها الى مصر عبر الملايين الذين سافروا وأقاموا هناك لفترة.. واذا كان البحث الاجتماعي والعلمي في مصر ليس في غفوته الحالية لتمكننا من العثور على عينات نموذجية تؤكد أن هذه العنصرية قد سيطرت على منافذ شعور المواطن المصري العائد من سنوات الهجرة الى النفط.. وأحسب أن ملاحظات كثيرة نسمعها من هؤلاء العائدين تدل دلالة مباشرة على مكمن خطورة الأمر حين يفتخر بعضهم بأنه لاتوجد في السعودية أي كنيسة.. (وكأنه مبعث فخر ألا توجد في السعودية كنائس بينما توجد القواعد العسكرية الأمريكية وشركات البترول متعددة الجنسيات؟!) إلى هذا الحد من البلاهة

والحمق تقاد عقول المصريين.

و - هناك حملة منظمة ممولة لشرائط الكاسيت التي تغذي فكرة التفرقة بين المسلمين والمسيحيين، قادمة من الخليج والسعودية (إبحث عن شرائط أحمد القطان وعبد الله الطحان) ومن القاهرة (إبحث عن أي شرائط) وليس خافيا ان هذه الشرائط هي الأكثر مبيعاً.

ز - في حالة الإحباط القومي والوطني التي يعيشها المصريون فإنهم يبحثون عن أي «ضحية» أو أي «متنفس» لإلقاء اللوم والذنب عليه، وكما تنسحق المرأة بإعتبارها كائنا مهيناً للقمع والقهر في وطننا، فإن المسيحي كذلك يصبح من منطق أنه «آخر» و«مختلف» و«أقلية» محطاً لكل احباطات وعدوانية الآخرين.

ح - يجب أن نؤكد أن كثيراً من قطاعات وشرائح الشعب المصري قد تربت على «نفي الآخر» و«فكرة الحزب الواحد والتنظيم الواحد والفكر الواحد والرأي الواحد والدين الواحد» رغم ان الدين الاسلامي أكد بعشرات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة على إحترام الآخر وحقوق المختلفين في الدين، وقد أدى هذا الى ما أدى اليه.

أما ساندرا.. فهي هذه المخرجة المصرية الشابة (التي أظن أنها ستكون ملء السمع والبصر خلال سنوات.. أظن..

وأتمنى) وقد أعطت بفيلمها القصير (الذي لم يأخذ حظا من الانتشار الجماهيري) درساً في كيف يمكن للفن أن يعالج كوارثنا ومشاكلنا وأمراضنا بكل حب ورومانسية وصدق.. وبكل نجاح.

وربما هذا ما يعطي لما فعله أنيس عبد المعطي (وكل الفنانات المعتزلات وشيوخ التطرف) مبرراً ودافعا لهجومهم الشامل الكامل على الفن ومحاولة تحريمه وتجريمه وتلطيخه بالعار!!

''هم يفعلون ذلك لأهمية الفن..

وضرورته..

وخطورته..

وعظمته..

وإسألوا ساندرا نشأت..

٩ ـ رحلة العقل... إنها الرحلة الأولى في حياتي الى أوروبا.. لقد زرت ألمانيا ـ بعد وحدتها ـ لمدة أسبوعين... وعدت بهذه الأفكار والآراء التي يأتي بها هذا الجزء من الكتاب.

والحقيقة أن علاقتنا بالغرب علاقة شائكة وغريبة تحكمها عدة أمراض وعشرات الأوهام.. لكنني لا أميل الى الاعتقاد الخاص بإضطهادنا من الغرب.. بل أرى:

أ ـ الغرب ليس كتلة واحدة.. ولابد من التمييز بوضوح بين الحكومات والأنظمة من جهة.. والشعوب من جهة أخرى.. بين

المتعصبين الفوغائيين من ناحية والمستنيرين المثقفين الحضاريين من ناحية أخرى.. أوروبا غير أمريكا.. وأوروبا ليست واحدة تماماً، وأمركا ليست كتلة مصمتة جامدة صلبة.. بل إنه عالم متداخل ومتشابك وحر كذلك ومن ثم ليس هناك أكثر من الاختلاف، وبعض هذا الاختلاف علينا..

ب - إنه إذا كان الغرب ضدنا.. فالحقيقة أننا ضده أيضاً، بمعنى أن سوء النية والنوايا متبادل وأنه اذا كانت صورة العرب لدى الغرب متخلفة ورجعية وبدائية (وبعضها صحيح) فإن صورة الغرب عندنا منحلة مفككة إباحية (وبعضها صحيح).

حـ - اننا اذا كنا قد خدمنا البشرية بحضارتنا الاسلامية العربية في قديم الزمن، فلا يمكن الإنكار أبداً - إلا لجاهل أو لمجنون - أن الغرب خدم البشرية بحضارته الآن.

الحقيقة أننا نعيش في كنف التكنولوجيا الغربية دون مناكفة أو عناد.

وبما أن الغرب هو الذي يصنع - لنا - كل شيء بداية من الأفكار والأسلحة وحتى أمواس الحلاقة فمن الطبيعي (لا أقول أنه صحيح) أن يمارس ضدنا ما يمارسه مدرس الفصل مع طلبته (..)

د - إن مقومات تقدم الغرب، ليست في يدنا الآن، المقومات ليست التكنولوجيا أو العلوم، ولكنها قبل ذلك بكثير جداً، وهي

احترام هذه العلوم وتقدير العلم والسعي إليه والبحث عن التكنولوجيا.

إن قوة الغرب وتقدمه لا تعود لعصور من الاستعمار (من المؤكد أنه استفاد من هذه العصور) لكن لا داعي أن ننسى أننا ايضاً استعمرنا (بصورة أو بأخرى من وجهة نظر الغرب) دولا وأمماً.. واستفدنا من الاستعمار (على أي وجه كان الاستعمار).

هل يمكن الزعم أن تقدم الحضارة الاسلامية في القرون الأولى ·· سلام، كان بعيداً عن التقائها (عبر غزوها ودخولها) الحضارة الفارسية والرومية.. والغربية في أسبانيا.

اذا كانت الامبراطورية الانجليزية والفرنسية قد احتلت العالم وسيطرت عليه.. فإن الامبراطورية والعباسية ثم العثمانية سيطرت على واحتلته فمن الذي يحصد الآن الحضارة؟

سأحاول أن أكون مختصراً - ومهذباً - بأقصى ما يمكنني وأقول أن أسس التقدم والحضارة شيئان فقط - العلم ثم الديمقراطية.

وقبل ذلك السعي لهما.. وإحترامهما.

ولأن العلم لم يكن في خدمة العلم، ولأن الديمقراطية لم تكن موجودة أساسا وأبداً.. كانت وهماً.

فإن ما حصل قد حصل.

١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ حرق الدم السياسي.. إنها قضايا سياسية وشخوص زعامات سياسية طويلة القامة بالقوة أو بالفعل. كتبت عن كلينتون الرئيس الأمريكي بمجرد صعوده الى مقعد حكم بلاده، وكنت طيلة فترة الانتخابات أؤيده وأحبه ـ مع علمي الكامل بأن شيئاً لا يتغير إطلاقاً في السياسة الأمريكية خصوصاً تجاه العرب ـ لكنني كنت قد كرهت ـ شأن الكثيرين ـ جورج بوش بعد تدمير العراق (..) [بالمناسبة أكره صدام حسين بنفس القدر فلا أحد أو أنا على الأقل ـ يحب الديكتاتورية والفاشية ـ] فضلاً على ذلك فإنني أنتمي الى جيل شاب يسمح له شبابه وظرفه التاريخي ووجوده في مجتمع العالم العربي الذي يتربع فيه الحكام والرؤساء والملوك عشرات السنين فوق مقاعد الحكم ورؤوس وأعناق الشعب يسمح له ذلك بأن يطمح ـ ويطمع ـ دائماً الى التغيير وحتى ولو في أمريكا وإعطاء زعماء العالم الثالث دروساً (مهما كان غباؤهم وبطء فهمهم) في حكمة الديمقراطية وعظمة التغيير.. وهو بالمناسبة أبعد شيء عن العالم العربي وأعصى حلم على التحقيق (..)

ثم الفصل التالي في هذا الجزء عن يلتسين ومأساة قتله للديمقراطية في بلاده، واذا سئلت الآن عن رأيي في التجربة السوفيتية كلها قبل التفكك، فإنني أرى أنها كان لابد لها من التفكك، وأن الجريمة البشعة في حق الشعوب هي انتزاع حقها

في حرية القول والفعل.. إن الديمقراطية (بمفهومها الواضح المباشر) وهو حرية القول والنشر وحق التغيير وتداول السلطة.. هي صمام أمن بقاء الأمم والحضارات.. فيما عدا ذلك فلابد أن يظهر يلتسين.

ويلتسين نموذج سافر وسافل في التسلق السياسي وكيف أنه كان رجلاً لا يحمل ذرة إيمان بالاشتراكية ولا ولاء للحزب الشيوعي ومع ذلك كان أحد قياداته إن هذا الواقع القاهر القامع هو المجتمع الوحيد الذي يسمح بظهور ولمعان القيادات الانتهازية العميلة.. التي كان يلتسين واحداً من أبرز رموزها.

ثم يلي ذلك فصلان عن جمال عبدالناصر والناصريين ثم عن لبنان..

وكلاهما مرثية للأحلام.. و«عديد» في انهيار الأوطان.

وما الأوطان إلاّ الأحلام!!

ابراهيم عيسى

قويسنا ــ القاهرة

١٩٩٣/١١/١٤

أولاً: الشيوخ

١ ـ الشعراوي

٢ ـ جاد الحق

٣ ـ الغزالي

٤ ـ شاهين

أولاً

الشعراوي وتأليه الملك!

الشعراوي

والله العظيم كنا سنسكت على قصيدة الشيخ الشعراوي التي نشرها - بكل فخر - مؤخراً ووصف فيها أحد الملوك بأنه ظل الله في الأرض..

كنا سنسكت

لولا أن خرج علينا علماء نحبهم ونقدرهم يدافعون عنه وعن مديحه وعن وصفه، ظل الله في الأرض، بل ويؤسسون نظرية فقهية في أن السلطان - أي سلطان - ظل الله في الأرض.

كنا سنسكت

لكن قدر الله.. وما شاء فعل.

أن يكتب الشيخ الشعراوي قصيدة

فهذا أمر ليس جديداً لا عليه ولا علينا

أن يكتب الشيخ الشعراوي قصيدة مدح فهذا أمر ليس جديداً لا عليه ولا علينا ولا على أي أحد.

لقد كتب الشيخ الشعراوي منذ فترة طويلة قصيدة مطولة عصماء في مدح «الملك فاروق المعظم. نشرها الرجل وافتخر بها واعتز بأمرها، ثم أعيد نشرها في أكثر من مجلة ومطبوعة»، وخاصة في فترة اللمعان الأول للشيخ الشعراوي في منتصف السبعينيات حيث لم يعد مدح الملك فاروق ساعتها شائنا أو خائناً. وكثر الكلام طيلة هذه السنوات عن ملكة الشيخ الشعراوي الشعرية.

قال في مطلع القصيدة ـ على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ـ

فإذا الطلعة السنية لاحت

وتجلى الفاروق بحبل موطد

كبر الحشد والأكف تلاقت

بين من ردد الهتاف وزغرد

لقد كانت القصيدة مدحاً واضحاً. بكل ما فيه من تقليدية، للملك فاروق، وربما صغر سن الشعراوي وقتها، حيث كان يبلغ من العمر ٤٠ عاماً، لم تسمح له بمعرفة أو إدراك أن الملك فاروق

كان ملكاً منحلاً فاسداً. باع وطنه كما باع أشياء كثيرة.

لكن عندما يمدحه الرجل، فإن انسياقه في سرد «طلعته السنية» - أرجوكم تتذكروا أن الملك فاروق حاول أيامها نسبة نفسه وأصوله الى سيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم»..

وانسياقه في سرد جماهيرية الملك فاروق وحب النفس له لم تمنعه بمجرد ظهور «الحركة المباركة» و«ثورة يوليو المجيدة» أن يسرع بقصيدة عنها - مرة أخرى مدح عصماء - ومرة أخرى بنفس الحماس الذي تحول من الملك الى الثورة.

أحبيها ثورة كالنار عارمة

ومصر بين محبور ومرتقب

شقت توزع بالقسطاس جذوتها

الشعب للنور والطغيان للهب

أي والله.. هذا ما كتبه الشعراوي، ومن الواضح ان القصيدة كانت ثورية نارية لا يقدر على كتابتها سوى شاعر ثوري وربما رئيس التنظيم الطليعي أو عضو بارز في الاتحاد الاشتراكي.

لكن القصائد عند الشعراوي تتغير مثلما تتغير العمائم.. فالرجال وبعد سنوات كانت كافية ليجد في نفسه القدرة على التمرد على مدحه وقصائده في الثورة وصلى ركعتين لله فرحاً بهزيمة مصر في ١٩٦٧، ولم يراع الرجل التاريخ لحظة واحدة

حين اعترف بذلك على شاشة التليفزيون بينما كانت مقالاته في رثاء جمال عبدالناصر مازالت لم يأكلها السوس ولم تقرضها الفئران.

وحتى الآن لا أفهم كيف لا يراجع الشيخ الشعراوي انفصاماته أو تناقضات مواقفه الحادة وتصريحاته الملتبسة. فأنا لا أعرف مثلاً كيف كان الرجل قد صلى لله شكراً لهزيمة عبدالناصر ثم بعد وفاته يكتب عنه مقالات يصفه بأنه الملهم الثائر العظيم.

على العموم هو نفسه الشيخ الشعراوي الذي وقف على منصة مجلس الشعب أيام كان وزيراً للأوقاف ليهاجم معارضي الرئيس أنور السادات ويشتت قولهم ويفند مزاعمهم فاذا بالحماس - نفس الحماس تقريباً - يأكله ويصرخ فيهم بالآية الكريمة {لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون} ليصف السادات هكذا في لحظة قدرية نادرة بأنه شخص فوق السؤال.. وأنه منزه بما يفعل عن «غوغاء» المعارضة الذين يُسألون طبعاً عن فصلهم وأصلهم وأموالهم ومواقفهم وأسماء أمهاتهم في شهادة الميلاد.

لهذا كله لم نكن نريد أن نناقش الشعراوي عن قصيدته في مدح خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وذلك لأننا ندرك أن قصائد الشيخ الشعراوي لفرط كثرتها وكثرة ممدوحيها بداية من الملك فاروق قد فقدت أهميتها.

ثمَ كنا نربأ بالشيخ وهو العالم اللغوي الكبير أن يذكرنا بالشعراء العرب القدامى الذين اذا زاروا ملكاً أو أميراً وأقاموا عنده حيناً من الدهر وأجزل لهم العطاء وثقلت في أيديهم صرر المال، سارعوا بنظم القصائد في مدح ملوكهم والفارق هنا فادح وهو فارق في صالح الشعراء العرب القدامى، فأين شعر الشعراوي مما قاله وتحدث به ونظمه الفرزدق والبحتري والمتنبي وهم أيضاً الذين كانوا يعودون فوراً الى هجاء نفس الملوك اذا ما خفت صرر نقودهم أو ثقلت صرر ملوك منافسين (.)

ورغم ان القصيدة حافلة بكارثتين دينيتين «فضلا عن الكوارث الشعرية» إلا اننا سكتنا. ثم فوجئنا بفريق من العلماء، ربما دفعهم حب الشيخ الشعراوي أو حب الملك فهد، أو الانتصار الى قصائد ينظمها الشيوخ.. فتباروا للدفاع عن قصيدة الشعراوي، وخاصة ما قاله في وصف الملك فهد:

فماذا قال:

«ياابن عبدالعزيز. يافهد شكراً

دمت للدين والعروبة فخراً

أنت ظل الله في الأرض

تحيا بك البلاد أمنا ويسراً.

وتذكرني هذه القصيدة بعشرات غيرها ترددت في المهرجانات

والمحافل في مدح الرئيس العراقي صدام حسين حيث رفعته الى مصاف الآلهة «والعياذ بالله» وكانت من شعراء مصريين أيضاً عائدين من العراق أيضاً.

هذا هو الشق السياسي الحساس في قصيدة الشعراوي ولأنه شق سياسي وحساس فنخرس ولن نفتح له سيرة.

لكن الشق الديني هو ما يهمنا وخاصة بعد فتاوي الشيوخ بصدقه..

إن الشعراوي في لمحة بصر يقول إن الملك «ظل الله في الأرض» وإذا لم تكن هذه كارثة فإن الكارثة الحقيقية أن العلماء قالوا أي نعم ظل الله في الأرض.

بل وصل الأمر بهم الى ذكر حديث نبوي شريف. عن أبي هريرة - رضي الله عنه قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه الضعيف وبه ينتصر المظلوم ومن أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة».

وبالطبع فإن ذكر هذا الحديث يدفعك الى الصمت التام، فأين أنت من حديث نبوي، لكن - والله نحتسب - لن نطلب من أساتذة الحديث سوى ما طلبه الشعراوي في نفس صفحة جريدة الأخبار التي قادت حملة الدفاع عنه «٩٣/٨/١٣» حين قال «وعلى العلماء أن يبينوا درجة هذا الحديث دوراناً على ألسنة العلماء».

الله أكبر الله أكبر فقد تساءل الشعراوي نفسه عن صحة الحديث. فحديث بهذا المعنى وتلك الخطورة لابد لنا من التوقف عنده والتشكك فيه فهو يعطي فرصة نادرة وعظيمة للمتطرفين ـ لا سبيل لإنكارها ـ في أن يصموا كل هؤلاء العلماء بأنهم علماء السلطة، ويصبح من حقهم ساعتها أن يتهموا وينتقدوا بل ويلعنوا حسبما يرون فهاهم شيوخنا يؤلهون السلاطين «ولا أعرف موقفهم من رؤساء الجمهوريات وهل ينطبق عليهم هذا الحديث؟!»

إن تعبير ظل الله في الأرض، ورد في أسوأ موضع له في التاريخ، حين كان أبوجعفر المنصور السلطان العباسي الشهير بالسفاح، يزعم أنه ظل الله في الأرض. أما هذا «الظل» أبوجعفر فقد ذبح وسفك دم الآلاف (..)

ثم ظهر التعبير نفسه في القرون الوسطى الأوروبية في أبشع «تنفيذ» له في التاريخ.

أما اذا كان الأمر أمر استشهاد بالأحاديث فإن التيار الديني الساخط على السلطة الرافض لها، لن يعدم عشرات الأحاديث النبوية التي تحض على الثورة ضد السلاطين والملوك فضلاً عن الآية القرآنية الجليلة في سورة النمل آية ٣٤ {إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون} صدق الله العظيم.

وكذلك يفعلون

أما بقية قصيدة الشيخ فإنها تحمل خطراً آخر حين يقول:

انت زدت المقدسات شموخاً

تتحدى عجائب الأرض طرا

ولا أعرف هل لو تجرأ شاعر وقال هذا التعبير. هل كانت أفواه وفتاوي نفس الشيوخ والعلماء سترحمه!!

حين يقول زدت المقدسات شموخاً..

[illegible] الله لن يزيد شخص مقدسات الله شموخاً، فهي ياشيخنا الطيب المتحمس شامخة مقدسة ليست في حاجة لملك ولا خادم ولا لك، ولا لنا.

شيخ الأزهر

بين جمال عبد الناصر وجيهان السادات

جاد الحق

منذ سنوات لامست عباءة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق مقعد مشيخة الأزهر ليصبح الرقم ٤٢ في سجل طويل للذين صعدوا - وصمدوا - في هذا المقعد، ٣١٣ سنة هي عمر المنصب الذي بدأ على يد شيخ من شبراخيت تجاوز التسعين من عمره ومات في نفس العام الذي ظهر فيه منصب شيخ الأزهر.

مات الشيخ محمد عبدالله الخراشي تاركاً بعض المؤلفات ونبذات مقتضبة عن حياته وأهم مقعد يجلس عليه شيخ والشيوخ كثيرون.

ماحال شيخ الأزهر الآن؟

لا أقصد صحة وعافية الشيخ جاد الحق، وهي بخير لكنني

أقصد صحة وعافية هذا المكان العلمي الديني الذي يحتل في قلوب المسلمين تاريخاً من الإحترام والتبجيل.

هل الأمر قاصر على التاريخ فقط؟

سنرى..

ولد شيخ الأزهر الحالي في قرية «بطرة» مركز طلخا بمحافظة الدقهلية سنة ١٩١٧ وهو بذلك ثاني شيخ أزهر من الدقهلية (أكثر المحافظات التي أنجبت وأفرزت شيوخ أزهر هي الشرقية والبحيرة).

نفس الباب الذي دخل إليه الشيخ الغزالي ومر نحوه الشيخ الشعراوي.. دلف إليه الشيخ جاد الحق.

باب المعهد الأحمدي بطنطا العاصمة الصغيرة لدلتا مصر الطيبة والفقيرة والفلاحة.. كان حافلاً بالقادمين من القرى الصغيرة البعيدة والمجاورة سعياً وراء علم ومكانة.

وقد كان هذا المعهد لتدريس المذهب الحنفي بإعتباره المذهب الرسمي في مدارس مصر وتعليمها وقضائها. وربما هذا ما حفز جاد الحق الى الإلتحاق بكلية الشريعة، ووقتها كان منصب القاضي الشرعي حلماً لكثير من القرويين الزاحفين في طريق العلم والخروج من حصار الريف فقره وجهله ومرضه الى عالم مختلف يتميز فيه دارسو الأزهر ومدرسوه وقضاة الشريعة.

وفي سن السادسة والعشرين تمكن جاد الحق علي جاد الحق من وضع أسمه ضمن خريجي هذه الكلية حين كانت نتيجة الحائط في مصر تعلن أننا في عام ١٩٤٣ ولا شك ان أسماع مصر كلها وقتها قد التقطت حكايات ومواقف وزعامة شيخ الأزهر الجليل «مصطفى المراغي» الذي كان واحدا من أهم الذين أعطوا لهذا المنصب مكانته وكبرياءه.

كانت جماهيرية الشيخ المراغي مستمدة من قدراته العلمية ومواقفه الوطنية الشريفة والنبيلة وهو ما يعطي (مرة أخرى) للمنصب قيمته ومكانته.

لقد وقف الشيخ المراغي بعنقه الذي تظهر عليه علامات الحرق والتشوه التي أصيب بها حينما ألقى البعض عليه «ماء النار» في واقعة غير مسبوقة في تاريخ الشيوخ.. فقد رفض الشيخ المراغي رشوة عرضت عليه لتغيير حكمه في إحدى القضايا فما كان من المجرمين سوى إلقاء ماء النار عليه.

وقف صاحب هذا العنق أمام الملك فاروق يواجه إغراء الملك وبطشه ورغبته في طلاق زوجته فريدة على أن يصدر الشيخ المراغي فتوى بعدم جواز زواجها بعده فقال له المراغي ـ يرحم الله شيخ الأزهر ـ «أما الطلاق فلا أرضاه وأما التحريم فلا أملكه».

وهو نفسه المراغي الذي نادى بفتح باب الإجتهاد وتوحيد

المذاهب وصرخ في وجه رئيس الوزراء حينما إحتد عليه لرفض المراغي دخول مصر الحرب العالمية الثانية.. صرخ في وجهه.

- اتهددني وأنا شيخ الأزهر، إن شيخ الأزهر أقوى بنفوذه من رئيس الوزراء ولو شئت لارتقيت المنبر وأثرت عليك الجماهير حتى تجد نفسك معزولاً عن الشعب.

• • •

كان يسمع جاد الحق كل هذا.. كما كانت مصر كلها تراه وتسمعه.. وبينما توالت الأحداث والحوادث كان الرجل يحصل على إجازة القضاء الشرعي عام ١٩٤٥ - نفس عام وفاة الشيخ المراغي - ثم يعين موظفاً بالمحاكم الشرعية.

لم يكن منصب شيخ الأزهر حكراً على أساتذة وشيوخ جامع الأزهر وعلمائه، بل كان مفتوحاً أمام الجميع.. ومن الجميع هذا كان الملك ثم رئيس الجمهورية (فيما بعد) يختار ويعين شيخ الأزهر.

وقبل تولي الشيخ جاد الحق هذا المنصب بسنوات كانت واقعة خطيرة وفتنة فقهية تطيح بالساحة كلها.

• • •

كان الشيخ عبدالرحمن بيصار وزيراً للأوقاف والشيخ جاد

الحق مفتياً للديار المصرية، وكان الشيخ عبدالمنعم النمر أستاذاً بالأزهر.

ما الذي جمع الثلاثة؟

إنه قانون جيهان؟

وقانون جيهان هو قانون الأحوال الشخصية الذي أعده وأفتى به وقنن له الشيوخ الثلاثة، وهو ما أثار عليهم طوب الأرض... وعا[illegible] الأرض أيضاً الذين فتحوا أبواباً لا تنغلق من الرفض والذم.. [illegible]الطعن في القانون ومخالفته الشريعة الإسلامية، إلى الحد الذي صدرت فتاوى واضحة من بعض المتطرفين في الدين... والعنف، بتكفير الشيوخ الثلاثة الذي أصدروا هذا القانون لمخالفته الشرع والإسلام.

وكان وجود جيهان السادات كفيلاً لأن يذهب هذا كله أدراج الرياح ويحيي الناس القانون وتلتزم الصحف بالدفاع [illegible] ويلح الشيوخ على الجواز الشرعي لكل بنوده...

وفي الأيام التالية جرت في النهر مياه وأحجار [illegible] فقد عُين الشيخ بيصار شيخاً للأزهر..

والشيخ جاد الحق وزيراً للأوقاف..

وحين مات السادات

أُلغي قانون جيهان

وحين مات بيصار

جاء جاد الحق

• • •

مرت سنوات.

تغيرت فيها مصر كثيراً.. تبدلت بعض الشوارع وتعدلت بعض المفاهيم, وانقلبت بعض الأمور, و«اتعكت» بعض الأحوال..

لكن يبقى أن السنوات الأخيرة كانت ملأى بحوادث وجرائم التطرف الديني، تحولت من فتاوى التحريم والتجريم الى سلسلة من العنف المتواصل الدامي التي تبدأ حلقاتها بالإغتيال وتتواصل بالقتل الجماعي وتنتهي بالإعتداء والحرق وغيره.

سنوات طويلة من التطرف يزداد ويتصاعد وسط غياب التأثير الأزهري كلية.

سنوات تتمدد فيها شهرة الشعراوي وتتسع رقعتها وتدخل الى حد غريب من شبهة القداسة، وترتفع فيها أسهم عقلانية الشيخ محمد الغزالي ويخوض حروباً صغيرة ولكنها هامة مع الفقه البدوي الصحراوي!!

وتظهر نجومية جديدة للشيخ ياسين رشدي الذي احتلت فتاواه وشروحه ودروسه الاسكندرية ثم امتدت الى مصر كلها

وتوسعت كتبه وازدادت شهرته ودخل بقوة النجومية التليفزيونية لرجال الدين، نفس النجومية التي يحتلها الشيخ المفضل للنساء د. عمر عبد الكافي.

وسنوات كثيرة كانت كافية لأن يدخل مفتي الديار المصرية محمد سيد طنطاوي من معركة الى موقعه، ويخرج من نقرة الى حفرة.

لكن هذه السنوات كلها لم تفعل شيئاً مع الشيخ جاد الحق علي جاد الحق.

فالرجل لم يتمتع بجماهيرية الشعراوي ولا ثقل وأهمية الغزالي ولا نجومية عبد الكافي وياسين رشدي ولا معارك سيد طنطاوي ولا نية وزير الأوقاف الحسنة وابتسامته الطيبة.

والرجل غير معروف في مصر وغير مؤثر في دوائر الدين اللهم إلاّ في ظهوره الرسمي بمناسبة الموالد والأعياد، وحضوره في خطب الرئيس وتوزيعه شهادات التقدير في ليلة القدر (!!).

لم يكن مطلوباً من شيخ الأزهر أن يصبح رمزاً شعبياً يلتف حوله الناس وتدور وراءه الجماعات والفرقاء..

لم يكن مطلوباً منه ذلك لأن أحداً لم يكن ينتظر منه ذلك..

لكن هذا الخفوت لم يكن متوقعاً أيضاً، فالانسحاب من الأضواء لا يعني - غالباً - الزهد، والبعد عن قضايا الناس

والتـأثيـر في مـوازين القـوة والصـراع والتـجـاذب بين أطراف التيـارات الدينية في مصر بعد محسوب على أي أحد وليس محسوباً له إطلاقاً.

شـيخ الأزهر ـ خـلال سنوات مشيخـتـه ـ أصدر عدداً من البيانات سواء «للمطالبة بضبط النفس بين إيران والعراق حيناً» أو «إدانة الغـزو العـراقي للكويت» (..) أو إدانة بعض الحـوادث الإسلامية هنا أو هناك.

لكن البيان ـ أي بيان ـ لم يحدث الأثر المطلوب والهدف اللازم حين صدوره من قلعة دينية مصرية ومن منبر يقف عليه شيخ الأزهر.

ولقد تحدث شيخ الأزهر في رمضان والأعياد عن التطرف والحج وإنجازات مبارك الإسلامية ونظرية الحكم في الإسلام.. لكن هل هناك أهمية لهذه الأحاديث؟!

مجرد أنها لأحد رجالات الإسلام ولمناسبتها الدينية الطيبة في موسم الحوارات الدينية لا تميز إذن ولا تماين.

• • •

لكن يظلم الكثيرون شيخ الأزهر.

يظلمونه اذا تحدثوا عن أربعين عاماً صمت فيها حتى يطلق صـيحـة بأن قـانون الإصـلاح الزراعي رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢

مخالفاً للشريعة، «وانه قانون يجافي الأصول الإسلامية في أساسه وان غالب أحكامه ومبادئه غير مقبول شرعاً وعليه فإنه قانون باطل».

فالرجل لم يتحدث طيلة ٤٠ سنة عن مخالفة هذا القانون للشريعة.. لأنه أيضاً لم يتحدث عن مخالفة أي قانون آخر للشريعة.

والرجل لم يصدر كتاباً أو بحثاً علمياً أو قانونياً في الإسلام منذ حصوله على العالمية وحتى عشر سنوات تلت من توليه الأزهر، فلم يكن مطلوباً أيامها أن يصدر قاض وخاصة قاض شرعي كتباً أو بحوثاً.

والرجل يدخل الى منصبه ويستمر فيه في فترة صراع حادة ومعركة ملتهبة مع التطرف، وهي أمور تحتاج الى قتال ولهيب فكري آخر ليس موجوداً عند البعض وليس متوفراً عند البعض الثاني وليس مطلوباً عند البعض الثالث.

واذا كان أحد يرى أن خفوت جماهيرية أو نجومية شيخ الأزهر قد تؤثر في دعم نجومية رموز أخرى من فقه البدو وفقهائهم وأئمتهم.. فهذا ليس دقيقاً تماماً لأن المؤسسة أبقى من رمزها.. لكن من قال إن هذه هي الحقيقة.

فالمشكلة ان الأزهر ومؤسسته في تلك السنوات شهد تطوراً

في دور ومهام أحد تشكيلاته الرسمية وهو مجمع البحوث الإسلامية الذي صار يلجأ الى حملات مصادرة كتب وفكر بحدة وقوة كما ان هناك مشاريع لتعديل قانون الأزهر لأجل تطوير أموره الى ماهو أبعد والى ماهو أخطر.

كما ان صراعاً خافياً ومستتراً جري بين مؤسسة الأزهر ودار الإفتاء حول حق الفتيا، وخصوصاً ان هناك ٢٥ لجنة فتوى تابعة للأزهر تنتظر.. وتنتصر أحياناً..

مؤسسة الأزهر التاريخية العظيمة تتلقى اتهامات المجاملة والمهادنة مع الحكومة ـ بخيرها وشرها ـ كما انها تتلقى طعنات من المتطرفين بأنها صوت غير إسلامي بل وتطولها هجمات من جميع الجهات لموقفها إزاء حرية الفكر.. كما انها ذات أخذ ورد حول فتاواها وأدوارها في الحياة السياسية المصرية والعربية والدولية.

المؤسسة إذن تعاني من هجوم من داخلها ومن بعض أطرافها واتهامات تتجاوز أفكارها الى إدارتها وإنفاقاتها.

لكن هل تؤثر الاتهامات على الأفكار؟

• • •

سألوا شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق عن خطورة تكفير المجتمع فقال: إن الفتنة الكبرى وقعت في الخلافة بعد مقتل عثمان (رضي الله عنه) بين معاوية وعلي وتقاتل المسلمون وبينهم

كبار الصحابة ولم يكفر أحدهم أحداً (..).

وسألوه أيضاً عن الديمقراطية فأجاب: إن الذين يتنادون بالديمقراطية وينادون الناس بها لم يجربوا الشورى الواقعية فالشورى في الإسلام أعلى قدراً وأعظم حكماً من هذه الديمقراطية التي لا معيار لها ولا مقياس.

وسألوه عن البرامج الدينية في التليفزيون فأجاب: يُقدم الحديث الديني الإرشادي الذي يعالج خطأ من الأخطاء أو قضية من القضايا الحادة في المجتمع ثم يأتي بعده ما يذهب به وبأثره من مسلسلات أو أغان وغيرها من المواد الترفيهية التي كثيراً ما تطغى على ماسبقتها من أحاديث ثقافية أو إرشادية والأولى أن نسترشد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم «واتبع السيئة الحسنة تمحها».

هذا بعض من كل...

أما كل ما نريده..

ففي سطور تالية قادمة.

● ● ●

ألف الشيخ الظواهري كتاباً ونشره تحت عنوان «العلم والعلماء».

الكتاب كان هاماً وخطيراً.. شعاره وأهدافه وأفكاره وشروحه كلها تسعى الى إصلاح الأزهر وتدعو الى أفكار محمد عبده وفلسفته.

ساعتها قام شيخ الأزهر عبدالرحمن الشربيني بأخطر ما يمكن أن يفعله أزهرى وأفدح ما يقوم به شيخ.

لقد أمر بحرق الكتاب... وحرقه.

بل وأمر بمصادرته... وصادره.

وجمع كل نسخه من كل مكان...

وأصدر قراراً بعزل أي شيخ يثبت أن لديه نسخة من هذا الكتاب.

وبعد سنوات.

تولى الشيخ الظواهري - نفسه - منصب مشيخة الأزهر.

فجرى خلفه البعض يناديه بلقب «الإمام الأكبر».

فرد الرجل: كأنه يرشق كلمة في التاريخ «ما أنا إلاّ واحد من المشايخ»

واحد من المشايخ!!

تكفير الشيخ الغزالي

الغزالي

لست مضطراً الى اعلان حبي واحترامي وتقديري للشيخ محمد الغزالي، فالرجل ليس في حاجة لي ولا لحبي، كما أنه في غنى عنهما أيضاً، ورغم انني أحبه وأحترمه وأقدره - حقاً - إلا أنه ليس واجباً أبداً تأكيد حسن النوايا بإبراز حب الحنايا، كما أن خصومة الآراء لا تنفي أبداً محبة القلوب، وخاصة اننا سنقف يوم القيامة أمام وجه رب كريم يحاسبنا على ما نقوله، كما يحاسبنا على ما سكتنا عنه. ولذلك لا نسكت عما قاله شيخنا الجليل في شهادته أمام محكمة أمن الدولة العليا في قضية مقتل د. فرج فودة في جلسة ٢٢ يونية ١٩٩٣.

لماذا؟

إن صفوت عبدالغني المتهم الثاني في هذه القضية والذي كان متهما بقتل د. رفعت المحجوب والذي كان متهما قتل فرج فودة!! صرح لصحيفة الحياة السعودية (٢٣ يونية ٩٣) عقب نفس الجلسة ومن قفص الاتهام أنه يكفيه شهادة الشيخ الغزالي حتى ولو حكم عليهم بالإعدام، وهي المرة الأولى التي يرضى فيها المتطرفون على الشيخ الغزالي (لازلنا نذكر يوم ثاروا عليه وأداروا ظهورهم إليه في أحد اللقاءات) وهي دلالة خطيرة تضيف الى خطورة شهادة الغزالي الكثير.

العجيب ان الشيخ الغزالي كان قبل شهور من مقتل فرج فودة وقبل أقل من عامين على شهادته في محاكمة قاتليه كان يجلس على بعد سنتيمترات من فودة في ندوة معرض الكتاب يناقشه ويحاوره ولم يقل له أو.. لنا أنه مرتد كافر يستحق القتل، حتى لم ينصحه (والدين نصيحة) ان يعود للإسلام (هذا اذا كان قد خرج منه)، معنى ذلك ان الرجل كان يتحاور فكرياً مع فودة دون إدانة ولا تكفير، هل معنى ذلك أن الشيخ الغزالي كان جالساً الى جوار مرتد وساكت عنه ولم يكشفه ويعلن إتهامه له، مانعرفه - ومتأكدون منه - ان الغزالي شجاع وجريء ولو كانت في نفسه - ساعتها - لقالها!!

لكن ماهو الشيخ الجليل ينتقل الى خانة تكفير الناس وقتلهم بنفس بساطة الجلوس على مقعد أمام المحكمة، ثم إن الشيخ

الغزالي أجاب إجابات فضفاضة غاية في العمومية وهنا خطورة تأويل شهادته وآرائه، مثلا يسأله المحامي «ماحكم من يجاهر برفض تطبيق الشريعة الإسلامية جحوداً أو استهزاء»؟

وهذا سؤال قاس ليس في حاجة الي إجابة أصلاً، إنه يشبه سؤالاً آخر «ماذا لو وضع أحدهم سكيناً في بطنك وسيفاً في أذنك ورمحاً في عينك، هل أنت ضده أم معه»؟

نفهم أن تكون الأسئلة الخطرة والإجابة الأكثر خطورة حول أشياء واضحة معلومة تفصيلية، لكن الفزع يصل مداه حين يسأله «هل نطق الإنسان بشهادتين والإدعاء بالإسلام مع المجاهرة برفض تطبيق الشريعة الإسلامية، والدعوة الى استبدال شرع الله بشرائع الطواغيت من البشر.. فهل يجوز»؟

ولكن الشيخ يجيب إجابة عامة جداً:

«يقول تعالى: {ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين} إن بعض الناس كان يحلف إنه مؤمن لكنه جبن عن الدفاع عن الإسلام.»

لكن يامولانا من الموكل له بمعرفة المؤمن من غير المؤمن، أليس هو الله، فنحن البشر لسنا مطالبين بالتفتيش في الضمائر وفتح القلوب، إن هذا لله وحده يحاسب به ويجازي عليه يوم القيامة (ولن يظلم الله أحداً.. ولا فرج فودة فتيلاً) لكن إن قال

واحد أن لا إله إلا الله فقد عتق عنقه، ولنا في حادثة أسامه بن زيد عبرة حسنة، حين قتل كافراً نطق الشهادة لما رأى سيف أسامة على عنقه، فلما علم رسول الله صلي الله عليه وسلم أنّب أسامة وحاسبه، لأن ما لأسامة هي الشهادة وليس له القلب ولا النية (هلا شققت قلبه؟)

ويسأله المحامي:

- هل يعتبر من يأتي هذه الأعمال والأقوال مفارقاً للجماعة مرتداً عن الإسلام؟

فيجيب:

«نعم مرتد عن الإسلام.»

- ما حكم هذا المرتد شرعاً؟

يجيب

«إن حكمه في الشريعة أن يستتاب والرأي العام لدى الفقهاء أنه يقتل، ولي رأي شخصي تقديري للحاكم انه بدلا من أن يقتل، أن يسجن سجناً مؤبداً.»

إذن في الشريعة الاستتابة تسبق القتل، فهل استتاب الشيخ الغزالي أو أصحابه فرج فودة اذا كان ما اتهموه به صحيحا؟

ثم إن الشيخ الغزالي أفتى بسجن المرتد وهو إجتهاد منه.

وأظن أنه سيتعرض لهجوم البعض، وإتهامه بإسقاط حد الردة!! لما أبداه من إجتهاد في هذه النقطة.

وفجأة ـ نرى الشيخ الغزالي يتحدث بكلام سيد قطب وقبله ابن تيمية وأبوالأعلى المودودي والفقه المتشدد الذي تم استخدامه مطية للتنكيل بالناس ـ وليسمح لنا الشيخ الجليل أن نذكره بأن الخوارج على «كل» ما ارتكبوا من فظائع وجرائم، «كل» ما كانوا يطالبون به هو تطبيق الشريعة الإسلامية، وانهم كفروا علي بن أبي طالب (وليس فرج فودة!!) لأنه خالفهم في الرأي واتهموه بأنه لم يحكم بما أنزل الله (!!).

ثم إننا نوافق الشيخ الغزالي كلية وتماماً وبدون قطرة نقاش واحدة أن القرآن تبيان لكل شيء وانه لم يترك شيئاً إلاّ وتحدث عنه مادام هذا الشيء يتصل بنظام الحياة، ولكن ليسمح لنا شيخنا أليس الخلاف الفقهي بين الأئمة الأربعة دليلاً واضحاً على أن هناك ما نختلف عليه (رغم ذلك) وما نناقشه تحت هذه القواعد التي وضعها لنا القرآن وأقرها لنا الإسلام، إن كل ما يحدث في الحياة السياسية مجرد إجتهاد لأننا أدرى بشئون دنيانا.

لقد جاءت الأسئلة تدفع بالإجابات لأن تكون عامة عمومية واسعة علي أسئلة مبطنة بالشر.. مثلاً:

ـ ماحكم من يدعو الى استبدال حكم الله بشريعة وضعية تحل

حراماً وتحرم حلالاً؟

أرأيتم كم تهمة في سؤال واحد «استبدال حكم الله... شريعة وضعية، تحل حراماً وتحرم حلالاً» وكأننا سمعنا مثلاً عن قانون مصري يحلل السرقة ويدعو للقتل ويشجع الاغتصاب.

إنه سؤال ليس مقصوداً به أبداً فودة فقط، بل مقصود به الحاكم قبل المفكر، والمفكر قبل المواطن، ونرى ـ طبعاً ـ إجابة الغزالي أن من يدعو لذلك ليس مسلماً يقيناً.. قطعاً ليس مسلماً يقيناً ياشيخنا.

لكن هل تحققت يامولانا أن الرجل الذي تعرض للقتل قال هذا ودعا لذلك وأين ومتى وكيف؟

ثم تأتي أهم مناطق إجابة الغزالي ان الذي ينفذ حكم قتل المرتد دون تركه للمحاكم والسلطة، فيعتبر مفتئتاً على السلطة، وأن ذلك لا يحمل عقوبة في الشريعة. (إذن فالشريعة تركت أبواباً مفتوحة دون أن تضع لها مادتها وعقوبتها وتركت للحاكم حرية تحديد العقوبة أو اختيارها والتعزير بالنفي أو الغرامة أو السجن أو الجلد، أو القتل، وليس القتل وحده إذن، ثم أليس الافتئات على السلطة فساداً في الأرض (وما عقاب الذين يفسدون في الأرض).

وبهذه الفتوى نفسها يمكن لأي متهور طائش خارج ـ وهم

كثيرون - أن يقتل اشيخ الغزالي نفسه (أطال الله في عمره وأمده بالصحة والعافية) فالشيخ يتعرض لهجوم ساحق منذ سنوات من قبل المتطرفين، حتى ان سلسلة كتب صدرت في احدى الدول العربية ثم بيعت وانتشرت تماماً في أوساط المتطرفين (بالمناسبة يمكن الحصول عليها من الأسواق والأرصفة) والكتب تحمل عنواناً وموضوعاً وحيداً هو أن الشيخ الغزالي مرتد، أحدهم (سليمان بن فهد العودة) وصف الغزالي - مثلاً - بأنه خطر على الأمة (..) وفي كتاب آخر ووثيقة أخرى تحت عنوان «عودة الى الإسلام من جديد» (ص ٥٤) يتهمون الغزالي بأنه «سب باقذع وأقبح الصفات النقاب الذي يكفي أن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كن يلبسنه» ثم لنا في كتاب أخير يحمل عنوان «كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها» لأحد دكاترة التطرف البدوي والذي سعى المحامون الذين جلبوا الغزالي الى جلب إبن باز زعيم الفقه البدوي (ولو بإرسال فتواه للمحاكمة حول إغتيال فرج فودة بالفاكس) يقول ويؤكد فيها على اتهامات للغزالي.. مرعبة وقاتلة لنقرأها بأنفسنا:

«ويؤسفني أن الشيخ الغزالي قد حشر نفسه في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها السنة وأهلها، في خصوم السنة بل صار حامل لواء الحرب عليها وأصبحت كتبه وأقواله تمثل مدرسة ينهل منها كل حاقد على الإسلام والسنة النبوية المطهرة» (ص ٧).

وأيضاً «ماهذا ياغزالي؟ تنشد المؤاخاة بين الإسلام والأديان الكافرة؟ وهل كان الاسلام في يوم من الأيام يحمل هذه الروح ويبحث بكل شغف عن كل دعوة تؤاخي بين اليهودية والنصرانيه والمجوسية والهندوكية؟ ويفتح المسلمون آذانهم وقلوبهم ويمدون أيديهم الى كل دعـوة تؤاخي بين الاسلام دين الله الحق وبين الأديان الوثنية الكافرة؟ أين أنت من آيات القرآن الواضحة الفاصحة لكل من يريد أن يمد للكافرين يد الإخاء ويفتح قلبه لهم بالمودة والولاء» (ص ٢٤).

وتواصل قائمة الاتهامات رعيها:

«يتسم نقده بالهجوم العنيف والسخرية اللاذعة (نفس تهمة فرج فودة) فلا يعرف أدب الحوار ولا يعرف كيف يأخذ ويعطي كما هو شأن العلماء وليعلم القاريء أنه ليس لدى الغزالي من العلم والدقة والإحاطة بالأدلة ما يساعده على مقارعة الحجة بالحجة فيلجأ الى الهجوم العنيف المصحوب في كثير من الأحيان بالسخرية والتحقير» (ص ٦٧).

ثم بكل وضوح وصراحة تستكمل القائمة السوداء: «ان فكر الغزالي خطير جداً على الاسلام فهو امتداد خطير لشتى الدعوات الرهيبة فهو امتداد رهيب للاشتراكية والديمقراطية وامتداد خطير لدعوة قاسم أمين» (ص ١٩٦).

وأخيراً الإنذار والتحذير الحاد والقاطع للغزالي.. يقول نصه: «فليعلن براءته من كل هذه الاعتداءات الغريبة والخطيرة على الاسلام ويعلن توبته الى ا لله وعلى رأس الملأ من أفكار يظل يخدمها ويدعمها طوال خمسين عاماً» (ص ١٩٦).

اذا قرأ متطرف (وهم يقرأون أحياناً) شهادة الغزالي في المحكمة.. وقرأ ما كتبه المتطرفون المتشددون عنه، فيمكنه ببساطة أن يبيح دم الغزالي وبعضهم أباحه، فالرجل يتهم السنة ويطعن فيها ويحلل حراماً ويخدم الأفكار الهدامة، وهو خطر على الأمة.. وكل خطر على الأمة يجب أن يزول..

ولهذا - كله - فإنني مشفق علينا - وعلى شيخنا الغزالي - من شهادته.. ويحفظ الله دمنا - ودمه - من المفتئتين على السلطة.. اللهم اغفر وارحم.. وتقبل يارب.

أنف شاهين !

شـــاهين

هل محمد صميدة عبدالصمد أكثر علما وفهما من الإمام العادل عمر بن الخطاب؟

هل د. عبد الصبور شاهين أكثر تقوى وجلالاً من الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز؟

هل أعضاء مجالس ادارات الريان وتوظيف الأموال (وهي شركات ثبت نصبها وجرمها)، والمحامون طالبو الشهرة ومحررو الصفحات الممولة من النفط.. هل أكرم عند الله - وفي الحق - من الأئمة والفقهاء وكتب السيرة والحديث النبوي؟ لقد عشنا وشفنا هولاء وقد «عماهم» لون الدم وشبق «التكفير» وانطلقوا يريدون ذبح د. نصر حامد أبو زيد!

نعـم..

فالمعنى الوحيد لصدور حكم قضائي بتفريق زوجة د. نصر عنه ان أي إرهابي ينتظره على باب المحكمة يمكنه قتله، وقد يجري د. عبد الصبور شاهين ليلحق بموعد تسجيل تليفزيوني.. ويلحق د. عمر عبد الكافي بسيارته ذات الربع مليون جنيه متوجها لتسجيل شريط جديد.

ما كل هذا الجنون بالدم.. وهذه الرغبة العارمة لدى هؤلاء في قتل رجل مسلم يقول - غصبا عن عين الذي أنجبهم - لا إله إلا الله محمد رسول الله؟

هذا الجنون لايفسره أبداً حمى التطرف في الشارع المصري، خصوصاً أن هؤلاء الذين يتحفوننا بمقالات وفتاوي في جريدة «عقيدتي» لسان حال التطرف الشرعي والجمود الفقهي (..) وهؤلاء «المسروعون» من أجل إحكام قبضة الفتاوى على رقبة الرجل.. كل هؤلاء ليسوا من المسجلين خطراً ولا يطلبهم اللواء حسن الألفي وزير الداخلية بتهم إرهابية (قد يكون البعض مطلوباً بتهم أخرى!!)، ولكنهم متطرفون الى درجة نسيان الحق وتناسي السماحة وتجاهل الاسلام.

نعم إنهم يتجاهلون بديهيات الاسلام وثوابته ومسلماته..

كيف؟!

الدليل في قضية «الردة» التي أخرجوها فجأة الى ساحة

التناظر والخلاف والجدل والنقاش.. لكنهم ـ كعهدنا بهم ـ آثروا عرض زاوية واحدة تثبت حججهم ووقائع تسند آراءهم بينما حجبوا ـ في تدليس سبق له مثيل ـ كل الفتاوى والآراء المخالفة لهم، المناقضة لأفكارهم ولغيهم!!

ولن أذهب بعيداً..

سأعتمد فقط على كتب ومفكرين هم أول من يستندون اليهم ويعترفون بهم ويقدرونهم، وعلى الأقل لايتهمونهم بالكفر أو المعصية أو الردة.. أو كل هذه التهم القاتلة.

سأعتمد بشكل أساسي على فقه السنة للسيد سابق ثم على ملف فتاوى الردة للأساتذة د. يوسف القرضاوي، د. محمد سليم العوا، جمال البنا (عدد ١٠ من مجلة منبر الشرق ١٩٩٣).

ولعل مناقشة هذه الآراء والتحاور معها وحولها تكتم فوهة المدافع التي يعد لها أو يعدها رجال التحريم والتكفير وإلقاء التهم على الناس بالباطل (يالباطل!!) تعالوا أولاً لنكتشف معاً ـ أو لنتأكد فقد اكتشفنا منذ زمن ـ أنه لايوجد أصل لحد الردة ـ أو الردة ـ في القرآن الكريم وهو الذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا جاء بها وأحصاها وهو الكتاب الجامع والمنزه عن النقص أو الخلل أو السهو، وهو الكتاب المنزل من الله سبحانه وتعالى مفسراً ومفصلاً ومتمماً لكل شيء.

يقول د. محمد سليم العوا «وعلى الرغم من ذلك بأن الآيات الكريمة التي قدمنا نصوصها لاتشير من قريب أو من بعيد الى أن ثمة عقوبة دنيوية - يأمر بها القرآن - لتوقع على المرتد عن الاسلام» «إنما يتواتر في تلك الآيات التهديد المستمر بعذاب شديد في الآخرة ويستثنى من ذلك ما أشارت اليه سورة التوبة (الآية رقم ٧٤) والتي يتضمن نصها الوعيد بعذاب أليم في الدنيا والآخرة، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الآية لاتقيدنا في تحديد عقوبة الردة لأنها إنما تتحدث عن كفر المنافقين بعد اسلامهم، ومن المعلوم أن المنافقين لا عقوبة دنيوية محددة لهم.. وهكذا فإننا لانجد في النصوص المتعلقة بالردة في آيات القرآن الكريم تقديراً لعقوبة دنيوية للمرتد، وإنما نجد فيها تهديداً متكرراً ووعيداً شديداً بالعذاب الأخروي، ولاشك أن مثل هذا الوعيد لايرد إلا في شأن معصية لايستهان بها، ويكفي أن الله سبحانه وتعالى وقد وعد المؤمنين بمغفرة الذنوب جميعاً توعد من كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً بأنه لن يغفر لهم ولن يهديهم سبيلاً، فالردة في حكم القرآن الكريم معصية خطيرة الشأن وإن لم تفرض لها آياته عقوبة دنيوية» ص ١٦، ١٧.

إذن الردة - لو ثبتت - أمر باطني بحت، بين العبد وربه، سيعاقبه - إن أراد - وسيعفو عنه إن شاء وقد وسعت رحمته كل شيء،

بل إن القرآن الكريم ـ كما يقول الاستاذ جمال البنا ـ أوضح بما لايدع شكاً وفي مئات الآيات، وبالنسبة لكل أبعاد قضية الإيمان أن المعول والأساس هو القلب والإرادة، وصرح بأنه ليس للأنبياء من دخل في هذا بضغط أو قسر، وانه لا إكراه في الدين ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

هي إذن قضية بين العبد وربه..

ما دخل مفتشي القلوب ولصوص الضمائر بالتلصص على إيمان شخص وعقائد انسان؟

ما لهم به..

لكنه يبدو أن حيلة «القتلة» لاتتوقف.. فهاهم يرتكنون على أحاديث نبوية ثلاثة يحتكمون فيها الى قتل المرتد (هكذا قتل؟!).

والأحاديث النبوية المتخذة ذريعة للقتل.. أحاديث أحاد، وحديث الأحاد ـ كما يشرحه د. القرضاوي ـ هو ما لم يبلغ درجة التواتر وقد يرويه إثنان أو ثلاثة أو أربعة أو أكثر من الصحابة وأضعافهم من التابعين. ويضيف د. القرضاوي رأياً أرجو أن يكون محلاً للبحث لخطورته الشديدة رداً على العلماء الذين يرفضون ـ كلية وتماماً ـ الأخذ بأحاديث الأحاد في الحدود والأحكام «لكان معناه (عدم الأخذ بالأحاد)، إلغاء السنة من مصدرية التشريع الاسلامي أو على الأقل إلغاء ٩٥٪ إن لم نقل

٩٩٪ منها ولم يعد هناك معنى لقولنا إتباع الكتاب والسنة».

وأنا لا أعرف ـ حقاً ـ هل ١٪ فقط من الأحاديث النبوية مؤكدة متواترة وليست من الأحاد المشكوك فيها أو التي بين الرد والأخذ(..).

اذا صح ذلك فنحن أمام امتحان حقيقي لاعادة فهم ومناقشة كثير من الاجتهادات (..).

واذا كان الأمر كذلك فنحن في حاجة ملحة الى الباب الذي أقفل، والشارع الذي أغلق والعقل الذي توقف.. نحن في حاجة الى الاجتهاد (!!).

نعود الى رأي د. القرضاوي، فهناك رأي آخر للشيخ محمود شلتوت في مسألة الردة، إذ يقول «قد يتغير وجه النظر في المسألة اذا لوحظ أن كثيراً من العلماء يرى أن الحدود لاتثبت بحديث الأحاد، وإن الكفر بنفسه ليس مبيحاً للدم، وإنما المبيح هو محاربة المسلمين والعدوان عليهم ومحاولة فتنتهم عن دينهم، وأن ظواهر القرآن الكريم في كثير من الأيات تأبى الإكراه في الدين».

ورغم أن د. أحمد صبحي منصور قد فند في كتابه «حد الردة» هذه الأحاديث النبوية (وهي عنده منسوبة الى النبي صلى الله عليه وسلم وليست نبوية)، وجرّح في رواتها واستند الى

مراجع تاريخية شتى مشبتة أن الرواة لأحاديث الردة إنما هم كذابون (هكذا) وقد استعرض تاريخ أحدهم وهو الأوزاعي الذي عايش الإمام أبو حنيفة وبينما مات الأخير مسموماً بعد سجنه وضربه وتعذيبه من المنصور السفاح (الخليفة العباسي) كان الأوزاعي يرفل في الخير كله وقد كان يُحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم مناكير أي أحاديث ينكرها سامعها كما قال الذهبي في ميزان الاعتدال «وكان يفترى أحاديث عن رب العزة وبنفس القدر كان يفتي للحاكم باستحلال الدماء كما أفتى لهشام بن عبد الملك الأموي بقتل غيلان الدمشقي، ثم أفتى للعباسيين باستحلال دماء الأمويين ولذلك عاش في كنف الأمويين ثم العباسيين، بينما لقي أبو حنيفة الاضطهاد منهم»..

وكان أبو حنيفة يقدم الرأي والقياس أي اجتهاده الشخصي على أحاديث الأوزاعي وغيره، وكان أبو حنيفة يقول عنه «ردى على كل رجل يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف القرآن ليس رداً على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تكذيباً ولكنه رد على من يحدث بالباطل»!

وعن عكرمة الراوي لحديث «من بّدل دينه فإقتلوه» فهو عبد أو مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنه، ويصفه الإمام ابن حنبل بأن عكرمة كان يرى رأي الخوارج» «روى ابن المديني أن عكرمة كان يرى الأباضية من الخوارج».

هذا أولاً ونحن نعلم من هم الخوارج.. وماذا رأوا وقالوا أو أفتوا (من لايعلم لا حاجة لنا به الآن!!) أما ثانياً فإن علي ابن عباس بعد موت والده جعل في يدي عكرمة وقدميه قيوداً وحبسه على باب الحشى «دورة المياه» فسئل عن ذلك فقال ان هذا الخبيث يكذب على أبي..!!

رغم هذه الروايات التاريخية التي قدمها لنا د. صبحي منصور لتثبت - وقد صحت وتأكدت - فداحة الأمر كله وضياع الحق كله (..) إلا أننا سنؤجل الأخذ بها وسنعود الى البحوث التي قدمها المتعاطفون مع الحركة الاسلامية والتي أصدرتها مجلة منتمية الى حزب العمل وهو الحزب الذي لاشك أبداً في إنحيازه للجماعات المتطرفة (..) وسنرى كيف يوافق - من زاوية أو أخرى - ما كتبه المفكر الاسلامي جمال البنا مع ما كتبه المفكر الاسلامي صبحي منصور.

يقول الأول: «إننا لانرد حديثاً لمجرد كونه حديث أحاد، وكل حديث يثبت لنا نحترمه ونقدره، ولكن يجب علينا لكي نطبقه كمبدأ عام أن نتقصى غاية التقصي وأن نلم بملابسات الحديث كله، وأن نتأكد من أنه قد روي بالحرف وليس بالمعنى، وأن هذا قد يغير المقصود ومع عدم الإلمام بالملابسات التي تجعله حكماً خاصاً وهذه كلها شبهات قوية ويمكن لأقل منها أن ترد تطبيق حد مذكور في القرآن على فرد واحد، فكيف يمكن تقرير مبدأ عام

يطبق على الكافة مع وجودها».

ثم بعيداً عن سيرة الرواة.. وأسناد الأحاديث.. ألم يسأل أحدنا نفسه، هل طبق النبي حد الردة في عصره، ومن ثم يكون تطبيقا عملياً وحرفياً لحديثه!

يقول الاستاذ البنا «إنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قتل مرتداً لمجرد ارتداده على كثرة المنافقين الذين كفروا بعد إيمانهم»، ويقول د. العوا «لايثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاقب على الردة بالقتل».

أولاً يجب هنا أن نتذكر معاً في كتب السيرة النبوية كيف تسببت حادثة الإسراء في ردة عدد من المسلمين الذين لم يصدقوا النبي صلى الله عليه وسلم وأنهم عادوا لكفرهم.. ولم يثبت أن أحداً منهم نفذ فيه حد الرد.

ثانيا: كانت المدينة المنورة ملأى بالمنافقين الذين ثبت بالقول وبالفعل، بل وبالآيات المنزلة من السماء، أنهم منافقون مرتدون، ومع ذلك لم ينفذ في أي منهم حد الردة، بل وصلى النبي (عليه الصلاة والسلام) على أحد منهم بعد وفاته حتى جاء الأمر الإلهي بعدم جواز صلاته خلف أحد منهم.

ثالثا: كانت هناك حوادث ردة جماعية في المدينة المنورة، والرسول صلى الله عليه وسلم النبي والحاكم ومع ذلك فلم يقتل أحداً.

وعلى العكس، فقد إرتد أحد كتبة الوحي وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح وأهدر النبي دمه وعندما فتحت مكة لاذ ابن أبي سرح بعثمان بن عفان (أخوه في الرضاعة) فحماه عثمان وحصل من النبي على الأمان له.

والحوادث الفردية المشابهة لذلك أكثر من أن تحصى وتروى، لكن في عهد عمر بن الخطاب (وهو من هو!!) يرفض تنفيذ حد الردة بالقتل، وحين يسأل أنس عما يفعله بالمرتدين قال عمر «كنت عارضاً عليهم الباب الذي خرجوا منه أن يدخلوا فيه فإن فعلوا ذلك قبلت منهم وإلا استودعتهم السجن».

ومن الآثار المروية عن عمر بن عبد العزيز (وهو الخليفة الخامس لفرط عدله وحسن فعله وعظمة تقواه وورعه) «إن قوماً أسلموا ثم لم يمكثوا إلا قليلاً حتى ارتدوا فكتب فيهم ميمون بن مهران الى عمر بن عبد العزيز فكتب اليه عمر أن رد عليهم الجزية ودعهم». وإذا عدنا للفاروق عمر بن الخطاب (وهو درس لكل مجتهد ولكل عاقل) «لم ير عمر عقوبة القتل لازمة للمرتد في كل حال وإنها يمكن أن تسقط أو تؤجل».

في شهر يولية عام ١٩٧٧ وفي مزايدة تامة معلنة على الجماعات المتطرفة، وفي غزل «غليظ» للمتطرفين حاول البعض أن يقدم مشروع قانون بإقامة حد الردة (ولا نعرف لماذا اختاروا هذا الحد فقط دون حدود الله؟..).. وقد وصف المفكر جمال البنا هذا

القانون بأنه «ردة تشريعية حقيقية لعلاج ردة اسلامية وهمية».

ولو صدر فسيكون لحساب المغفلين والجهلة وأعداء الاسلام، الذين سيقولون ان المسلمين إنما يقرون لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة تطبيقاً لقانون العقوبات!!

• • •

ويبدو أن المغفلين والجهلة وأعداء الاسلام لايزالون يسعون الى تدمير كل شيء وإراقة الدم (...) فالدكتور نصر حامد أبو زيد مسلم رغم أنفهم.. مسلم موحد بالله..

كل تهمته - أو ردته - أنه ناقش ولم يتعامل مع الاسلام على أنه دين في «حضانة» أي مناقشة أو رأي أو فكر قد يلوث «الهواء» المعقم المحيط به.

الاسلام أعظم من أن يحتاج الى عبد الصبور شاهين ومحمد حميدة الدفاع عنه..

ولن تدير «عقيدتي» التي لاتسعد مهجتي شئون الدين الى مافيه الاساءة للدين.. فلا إكراه في الدين رغم أنف «عقيدتي» و«صميدة» وعبد الصبور شاهين!!

ثانياً:
أفكار وشرائط

١ ـ زواج المتعة

٢ ـ سلمان رشدي

٣ ـ قتل الفنانين

٤ ـ ساندرا



زواج المتعة

زواج المتعة

زواج المتعة..

اطمئنوا.. لا ننوي أن ندعو له.

لكننا فقط سندخل مع زواج المتعة عش الدبابير..

وسنعد الدبابير.. دبوراً.. دبوراً!!

التقط المتطرفون مراهقات وفتيات ونساء على مدى السنوات الكثيرة الدامية الماضية، تزوجوا منهن.. دون أوراق رسمية أحيانا، وبلا شهود ولا عقود غالباً.

وانتشرت بينهم وفيهم حجج فقهية غزيرة، وأعلنوا الزيجات شرعية وحلالا طيبا بينهم، وائتمروا بأمر أميرهم وتزوجت كثيرات منهن هذا الأمير.. أو ذاك.

الزواج موضوع هام وخطير في سراديب ودهاليز وسطوح المتطرفين.

كما انه قضية تشغل حيزاً ضخماً من تفكيرهم في المرأة وفكرهم عنها.

ورغم ذلك فهم مستعدون ألا يسمحوا - رغم كل هذا - بأي حوار حول الزواج.

انهم يضعون أقفاصاً حديدية مكهربة أو ملغمة ضد كل من تساوره نفسه - وقلمه - في أن يضع الزواج تحت مجهر البحث والحوار.

رصاصهم جاهز.

يضعونه أحيانا تحت سرير زواجهم الذي تم دون ورق ولا أختام.

ولأن الله لم يضع اختاما على قلوبنا، فقد قررنا أن نجري وراء المعرفة.

وبالمعرفة تبدأ الحياة.

والحياة لاتتم بغير الزواج.

والزواج أنواع.

أنواع محرمة.

وأخرى محللة.

وزواج المتعة أحد الأنواع الملغومة في الفقه الديني.

السنة يرفضونه رفضاً قاطعاً.

والشيعة يحللونه حلالاً بيناً.

وسبحان الله الذي جعل في أمته من يرى أن زواجاً كهذا بغاء ودعارة.

ومن يراه شرعياً وحلالاً.

مرة ثانية (وسنكررها كثيراً).

لن ندعو لزواج المتعة.

ولسنا معه.

لكننا فقط سنحاول أن نعرفه.

تحديداً في ٧ يونية ١٩٩٢.

اغتيل د. فرج فودة أمام عتبة مكتبه في مدينة نصر.

وقتها لم يكن كتابه «زواج المتعة» قد صدر..

والآن هاهو بين ايدينا.

نكاد نلمح على غلافه بقع دم الرجل.

وكل ما فعله د. فرج فودة في هذا الكتاب (الذي صدر عن

الدار العربية)، ان وضع أمام أعيننا قصة الخلاف حول زواج المتعة منذ اللحظة الاولى لانبثاقه في تاريخنا الاسلامي.

وكل ما أراده فرج فودة - ونريده - مجرد التأكيد على أن الخلاف في الرأي كما انه لايفسد للود قضية فهو أيضا لايسيل نقطة دم.

ان هذه القضية حاسمة وفاصلة.

وهذا الزواج موضع خلاف وشبهة.

ورغم ذلك فان الحوار حوله - بين فقهاء السنة والشيعة - جرى على أبدع مايكون الخلاف وانقى ما يكون الصراع الفكري والفقهي.

اننا نريد - والله يفعل مايريد - إثبات ان اخطر القضايا في الدين يمكن ان تناقش ويمكن ان يثار حولها جدل وخلاف واجتهاد.

ولهذا كان الاسلام صالحا لكل مكان وزمان.

اما المكان فمصر.

اما الزمان فالآن وبعد ١٤١٣ عاما خلت من هجرة الرسول.

ولنبدأ بالرسول..

حرم الرسول (صلى الله عليه وسلم) زواج المتعة في سبعة

مواضع وسبعة أزمنة.

لكن قبل الأزمنة والمواضع،

ما الموضوع؟

زواج المتعة هو زواج لأجل (زواج مؤقت) مقابل أجر (مهر) يتفق عليه بالتراضي (ولو كان قبضة من تمر أو دقيق)، ومع نهاية الاجل ينتهي الزواج بغير طلاق، علما بانه لا حد أدنى أو أقصى للأجل، فقد يكون ساعة أو ساعات، يوما أو أياماً، شهراً أو شهوراً، سنة أو سنوات وبه يثبت نسب الأبناء وميراثهم أيضا لكن لاترث الزوجة إلا لو كان شرطاً لها عند الزواج، وهي أيضا لاتستحق نفقة إلا اذا اشترطت.. فضلا عن انه لاعدد محدد في زواج المتعة (روي عن ابن جريج فقيه مكة الشهير انه تزوج سبعين مرة بالمتعة تأكيداً لحلها) وينعقد الزواج بلفظة واحدة. زوجتك أو انكحتك أو متعتك نفسي.

هذا هو زواج المتعة باختصار.

وهو كما ترون يسمح بأن يتحول وطننا مثلا بين ليلة وضحاها الى عالم من الزواج السري.

وبخطورة الانسياق وراء فهم واحد للأمور.

ولخطورة الاندفاع وراء فكرة دون مناقشة.

كان لابد وأن نفتح أعشاش الدبابير.. وندخل.

وقف أهل السنة بضراوة أمام قضية زواج المتعة واعتبروها زنا وفحشا ويرونها - في المحصلة الأخيرة - محرمة من النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته وفي أحاديث وردت في كتب السنة أشهرها عن علي بن أبي طالب وعن سبرة بن معبد الجهمني بينما يرى الشيعة الامامية ان الرسول لم يحرمها وانها مورست في عهده ثم عهد ابي بكر وصدر عهد عمر الذي حرمها ويستندون في هذا لأحاديث في كتاب السنة أشهرها عن جابر بن عبد الله الانصاري، وعمران بن حصين. ويختلف الفريقان (كذلك) على تفسير آية (فما استمتعتم به منهن) الواردة في سورة النساء حيث يرى السنة انها جاءت في الزواج الشرعي، ويرى الشيعة انها واردة في حل المتعة.

معنى ذلك ان زواج المتعة أحل في بعض عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهنا مربط الفرس.

ومقبض الخلاف.

والخلاف عرضه فرج فودة في صورة محاورة مطولة بالحجج والأسانيد المتبادلة والرجوع المنتظم للسنة النبوية والأحاديث الشريفة والمصادر التاريخية، فتجد نفسك مثلا وقد اندفعت الى الرفض الباتر لزواج المتعة حين تقرأ أن النبي صلى الله عليه

وسلم حرمه سبع مرات في سبعة أماكن (مواضع) وسبعة أزمنة في غزوة خيبر (محرم سنة ٧) عمرة القضاء (ذي الحجة سنة ٧) ويوم الفتح (رمضان سنة ٨) غزوة حنين (شوال سنة ٨) وغزوة اوطاس (بعد حنين شوال سنة ٨) وتبوك (رجب سنة ٩) وحجة الوداع (ذي الحجة سنة ١١) ونعتقد أنه ليس بعد كل هذا التحريم شك او تشكيك لكن تفاجأ بحجة شيعية تسائك: طيب وهو يعقل ان يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد حرمها ثم أحلها ثم حرمها ثم أحلها وهكذا سبع مرات كاملة وهو ما لايستقيم منطقيا ولا سابقة له ولا مثيل.

ثم يفتح الشيعة (وبالمناسبة لا توافق الزيدية وهي مذهب في الشيعة على أن زواج المتعة حلال، وينفرد بها فقط مذهب الإمامية الاثنى عشرية وكلاهما معترف به في الأزهر) ثم يفتح الشيعة شلالا من الملاحظات العقلية والمنطقية حوله للتشكيك في هذه الاحاديث ويستندون - في نفس الوقت - الى مراجع وأحاديث وردت في كتب السنة.

لكن السنة يشحذون أدلتهم ويركزون حول أمر واحد واضح. ان مراجع السنة أوردت قول الإمام علي بن أبي طالب وهو حديثه بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى يوم خيبر عن متعة النساء وعن أكل لحوم الحمر الأهلية وكانت المناسبة هي الرد على ابن عباس في ترخيصه بالمتعة. وعندما ينحصر القول بين ابن

عباس وبين علي يرجح لدى السنة والشيعة معاً قول علي، وخاصة انه جاء بعد وفاة الرسول، الأمر الذي يقطع باستمرار تحريم الرسول صلى الله عليه وسلم لزواج المتعة الى الأبد، إذ يستحيل منطقيا ان تكون المتعة حلالاً ويخفى ذلك عن علي، وليس معقولاً ان يحرم علي ما أحل الله ورسوله وعلي ابن ابي طالب باب مدينة العلم والحديث جامع مانع قصير قاطع لايحتمل لبساً ولايقبل تأويلاً ولا يداخله شك.

لكن حجج الشيعة (رغم كل هذه الصرامة والوضوح في حجج السنة) لاتبطل ولاتتوقف.

ووصل الأمر الى الاختلاف حول تفسير الآيات.

ويصبح هنا واجبا واجبنا ان نرجع الى المقدمة التي كتبها للكتاب د. احمد صبحي منصور الذي يؤكد انه حين نزل القرآن الكريم كان الزواج الشرعي معروفاً وقبل ان يكون النبي نبياً وقبل نزول الوحي تزوج محمد بن عبد الله من السيدة خديجة زواجاً شرعياً بل انه عليه الصلاة والسلام جاء من أباه وأجداد تزوجوا زواجاً شرعياً صحيحا، والله أعلم حيث يجعل رسالته، ولايمكن ان يختار الله تعالى رسولا إلا اذا كان قد جاء من اسلاف تزوجوا زواجاً شرعياً، ثم نزل القرآن يعالج كل أمور الزواج ليجعله خالصاً لله.

لكن المدافعين عن زواج المتعة يستدلون بقوله تعالى «فما

استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضة» (النساء ٢٤).
ويقولون انه ذكر لفظ (المتعة). وذكر «الأجر»، وذلك ما يتردد في زواج المتعة، فهل هذه حجة قرآنية على جواز المتعة؟

د. منصور يجيب.. لا، لان القرآن في هذه الآية يتحدث عن الزواج إجمالاً.

ويعود ليؤكد رفضه الكامل والمطلق لزواج المتعة.

**

مرة عاشرة نحن ضد زواج المتعة. لكن في هذا الحوار والتناظر بين أهل السنة وأهل الشيعة لايسعنا إلا الاندهاش من كثرة المردود عليه وغزارة المسكوت عنه. ان اسماء مثل ابن عباس (حبر الأمة) لابن جرير، ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري، والطبري، والبخاري وحتى سيد سابق صاحب فقه السنة كلها أسماء تداخلت فيها الاجتهادات والآراء والأفكار والأسانيد بحيث أصبح الأمر حواراً نادراً رفيعاً يسمح لنا بفهم مجدد ومعاصر للفقه، كما يلح علينا بحاجتنا الى انفتاح فكري ورؤى معاصرة ورحمة الاختلاف التي وسعت واتسعت فشملت خلافات حول أمور شتى ومذاهب كثر دون حاجة الى إراقة الدماء ودون مخافة البوح بكل اختلافنا صريحاً ومعلناً.

وهذا بالضبط ما يلمسه فرج فودة حين يقول «إن خطورة

قضية زواج المتعة تستند الى أسباب عدة أولها مـأزق الحاجة لاجتهاد معاصر، وثانيها خطورة الاستناد لاجتهادات عصور سابقة، وثالثها مأزق الدعوة للعودة الى الجذور دون مراجعة، ورابعها وهم اليوتوبيا (الجنة على الارض) في عصور خلت، وخامسها مأزق استلهام النص وحده دون إعمال العقل، وسادسها مأزق الفصام بين الأصولية والمعاصرة فالأولى نقل والثانية عقل، والتوفيق بينهما وارد وممكن ولكن ليس في ظل مانراه من انغلاق فكري وفكر انغلاقي، وسابعها المأزق الذي يقود اليه تقييم نصوص السنة على أساس السند وليس المتن، وثامنها الأسى لخلاف المسلمين دون طائل يجني سوى تمزق الصفوف ودون محاولة لرتق الخلاف، وتلافي أسبابه، وتاسعها ضياع الحقيقة بين الجهل والتجهيل والتجاهل من الفريقين، وعاشرها مأزق التناقض بين قضية فحواها الإباحة ومضمونها الحرية وبين اجتهادات أخرى في قضايا تتصل بها فحواها القيد ومضمونها التشدد.

**

سيعود البعض ليسألنا ولماذا تتكلمون الآن عن زواج المتعة؟

ونحن نجيب ولماذا لا نتكلم؟ أليس أفضل كثيراً من الكلام عن الجن والعفاريت والثعبان الأقرع والثعبان بشعر!!

سلمان رشدي

سلمان رشدي

هل أنوي الدفاع عن سلمان رشدي؟

لا أنا جسريء ومسجنون الى هذا الحد.

ولا القارىء حسن الظن بي الى هذه الدرجة.

**

لا توجد محاكمات بدون دفاع، ولا يوجد دفاع بدون محامين.

لكننا.. عند أي هياج سياسي أو زار جماهيري ننسى أبسط قواعد العدل وننسف أبسط حدود المنطق.

منذ أربع سنوات والكاتب البريطاني الهندي المولد باكستاني الأصل مسلم الديانة سلمان رشدي مهدد بسبب فتوى الخميني بإهدار دمه، ومع ذلك لم نسمع أي دفاع.

والدفاع من حقه.

كما ان أي قاض عادل لايخشى من محام نابه، ولا [illegible] اسم المحامي فقد تجرأت على أن تسمعوا صوته.

ورغم انه قد يسؤه تعبير «المحامي» إلا انني اعتقد انه لقب يشرف الحقيقة.. التي لانسعى إلا إليها.

من هو؟

وكيف؟

لنصبر.. ونرى.

**

إن قارىء هذه السطور يحتاج شجاعة أكثر من كاتبها لذا تعالوا نتفق أولا على أن نحاول الفهم ثم نحاول ـ بعد ذلك بكثير ـ الحكم.

**

أما المحامي ـ أو الذي اعتبره كذلك ـ فهو مفكر سوري كبير أسمه صادق جلال العظم، من مواليد دمشق ١٩٣٤ ويعمل حالياً أستاذاً زائراً لدراسات الشرق الأدنى في جامعة برنستون في الولايات المتحدة وزميلا في مركز ديلسون في واشنطن.

له ١٢ كتابا.. وأحدث كتبه بعنوان «ذهنية التحريم» خصص

حوالي نصفه الحديث عن قضية سلمان رشدي، والحقيقة انه قضى في معهد برلين للدراسات العليا عاماً دراسياً كاملاً (٩٠ ـ ٩١) للإطلاع والبحث وتجميع المادة والكتب وحتى قصاصات الصحف التي تناولت وتداولت قضية سلمان رشدي منذ تفجرها وكذلك حصل على جميع ملفات معهد العالم العربي في باريس المتعلقة بقضية سلمان رشدي وروايته «آيات شيطانية».

الملاحظتان الواجب الكلام عنهما هنا، ان الرجل لم يستسهل كما فعل أغلب مثقفينا وقرر الهجوم على سلمان رشدي دون حتى قراءة صفحة واحدة من كتابه.

إن هذا الفارق يوضح ـ بينما لا حاجة لتوضيح ـ ان بعضنا أو كلنا لم نتعلم حتى الآن معنى الديمقراطية وان الهجوم القطيعي والقطعي والحشد والتعبئة تجاه أمر بعينه سمة من سمات مجتمعنا وسبب من أسباب تخلفه، إن لم يكن السبب الأول.

ماعلينا..

الملاحظة الثانية ان جلال العظم لم يلتق.. أو على الأقل لم يقل انه التقى بسلمان رشدي.

والآن..

مع مذكرة الدفاع.

**

أول ما فعله الكاتب صادق جلال العظم انه فتح ملفات المقالات التي كتبها نقادنا واساتذتنا الكبار عن آيات شيطانية وسلمان رشدي، وهي فضيحة رسمي وبجلاجل.

فالكل كتب ولايعرف روايات رشدي ولا آيات شيطانية والكل هاجم، دون أي ادراك لخطورة ما يفعل.

ولأن الأمر كله بمثابة فضيحة داخلية بينما معشر الكتاب والنقاد فلاداعي للتفاصيل.

ولنكتف بالفضائح السياسية..

**

كيف بدأ الأمر كله؟

يحكي جلال العظم واقعتين، الواقعة الاولى في خريف ١٩٨٨ عمل تحالف للقوى الديمقراطية في افريقيا الجنوبية على تنظيم مؤتمر - مهرجان في مدينة جوهانسبرج - لنصرة الحريات الديمقراطية في البلاد، لاحظ لم تكن التفرقة العنصرية قد انتهت بعد، وبخاصة حريات التعبير والنشر وتداول المعلومات وللمطالبة بإلغاء الرقابة الحكومية (بيضاء كلها) على الفكر والصحافة

وأجهزة الاعلام والمطبوعات وذلك برعاية صحيفة الويكلي ميل ومؤتمر كتاب افريقيا الجنوبية المعارضين للابارتايد، التفرقة العنصرية.. وجهت اللجنة المنظمة للمؤتمر دعوة الى سلمان رشدي للمشاركة في أعماله وإلقاء كلمة الافتتاح وعنوانها «حيثما يحرقون الكتب يحرقون البشر ايضا».. (لم يكن هناك حرف قد ظهر عن آيات شيطانية بعد..) وحتى لايخالف رشدي أحكام المقاطعة المفروضة على جنوب افريقيا من جانب الأدباء والمثقفين والكتاب في العالم أجمع تقريباً استشار قيادة حزب المؤتمر الافريقي، حزب نيلسون مانديلا الحائز حالياً على جائزة نوبل للسلام، وقيادة القوى المعادية للابارتايد في بريطانيا واوروبا. فكان جواب القيادتين تشجيعه الشديد على تلبيتها وعلى المشاركة الفعالة في أعمال المؤتمر مع توجيه الشكر له على موقفه النبيل.

هنا.. ظهرت الكارثة..

في جنوب افريقيا ساعتها أقلية هندية مسلمة متواطئة مع نظام التفرقة العنصرية (أرجو ألا يغضب أحد من الحقيقة) هذه الأقلية تملك - استمراراً لتواطئها - مقاعد برلمانية في المجلس النيابي المخصص للآسيويين الملونين وحدهم.

وأعلنت الأقلية إياها الجهاد المقدس لمنع المؤتمر.. وبدأت تبعثر تهديداتها على الجميع.

وأولهم سلمان رشدي، المسلم القادم، و«المواجه للعنصرية» وطال التهديد الجهات المنظمة للمؤتمر كلها بما فيها الصحيفة الرئيسية المعبرة عن وجهات نظر تلك الجهات وسياساتها، ومؤتمر كتاب افريقيا الجنوبية، طبعاً هناك من يعتقد جازماً ان سلطات بريتوريا العنصرية هي التي حركت القيادة المسلمة بغرض التشويش على المؤتمر وتخريبه.

على كل حال كان سرور السلطات العنصرية البيضاء واضحاً وكبيراً أمام مشهد القيادة الآسيوية المسلمة وشبه البيضاء وهي تتصدى بأسم الدين والاسلام لمؤتمر افريقي مختلط لاتريد إنعقاده أصلاً

وانحازت سلطات بريتوريا ـ بفروسية نادرة ـ الى جانب الدين، وصارت أول دولة في العالم تمنع رواية سلمان رشدي، ياسلام على النبل والطيبة واحترام الانسان والأديان.

واذا سمحت لنفسي ـ كأي جالس في قاعة محكمة يتفرج ـ أن أقول شيئا، فهو الى متى يتوقف إستخدام الدين في لعبة السياسة. إلى متى؟ الى أن نعرض جميعا يوم القيامة على الله؟

والدليل الواقعة الثانية..

ومن الهند..

يقول جلال العظم معروف ان انبعاث التطرف الهندوسي الأصولي والتطرف الاسلامي الأصولي يدفعان بالهند اليوم الى هاوية الحروب الدينية والمذهبية الأهلية بدمويتها التي لاترحم، احتدم الصراع بين الطرفين مؤخراً على مسجد بناه الأمبراطور المغولي بابور في القرن السادس عشر على انقاض معبد هندوسي سابق على مايبدو، ويظهر ان كلا الطرفين اكتشف فجأة القيمة الروحية الفريدة والأهمية الميتافيزيقية العظمى (الميتافيزيقية هي ماوراء الطبيعة) والحظوة الغيبية المتميزة لهذا البناء المقدس بالذات دون غيره، لذلك تم تنظيم مسيرات هندوسية واسلامية مضادة في صيف ١٩٨٨ بغرض السيطرة على البناء مما كاد يؤدي الى مذابح دموية كبيرة جداً، هنا تدخل عضو مجلس النواب الهندي الطموح سعيد شهاب الدين ـ المحسوب على الاسلام الاصولي النفطي والتابع لحزب جاناتا المعارض ـ ليعقد صفقة انتخابية مع راجيف غاندي رئيس الوزراء يومها، تنص على منع رواية سلمان رشدي من التداول في الهند مقابل إيقاف المسيرة الإسلامية المتوجهة الى المسجدالمذكور، بهذه الطريقة تم إقحام آيات شيطانية، وقبل أي ردود فعل شعبية في الصراع الديني الطائفي الداشر في الهند ليس هذا فحسب، بل في حملة حزب جاناتا المعارض على حزب المؤتمر الحاكم.

مرة أخرى لنعلق من داخل قاعة المحكمة..

هل من الممكن ان يفكر الناس قليلاً في أي مظاهرة تخرج حاملة شعارات دينية، عما وراء هذه الشعارات وتلك المظاهرات من أهداف.. ومن سياسة(!!) مثلاً. دوت مظاهرات في باكستان ضد [illegible] لمان رشدي ولكن لابد أن ندرك انها خرجت بوحي [illegible] برعاية وبجماهير حزب الرابطة الاسلامية الاصولي بعد سقوطه المدوي في الانتخابات أمام بنازير(قبل عودتها الاخيرة المظفرة بعد هزيمة ساحقة للرابطة الاسلامية).

لقد كان المتطرفون يبحثون عن قضية لاستعراض العضلات وإثبات الذات ونفخ القوى (!!) فلجأوا الى المظاهرات (!!).

بل والى إحراق المركز الثقافي الامريكي وليس الى المركز الثقافي البريطاني «بريطانيا هي ناشرة الرواية وحامية الكاتب!!» ويرى د. صادق العظم في موضوع آخر هام من الكتاب ان هذا الاحتجاج من متطرفي باكستان وانصار ضياء الحق، لم يكن ضد آيات شيطانية بقدر ما كان ضد امريكا بسبب تخليها عنهم مؤقتاً لصالح حزب بوتو.

ويذهب أحد مراجع كتاب العظم وهو كتاب آخر لعادل درويش وعماد عبد الرازق بعنوان الآيات الشيطانية بين القلم والسيف، الى انه من الغريب ان نواز شريف وبقية قادة حزب الرابطة الاسلامية والجماعات الاسلامية لم يطرحوا مسألة منع الكتاب

تماماً مثلما لم تصدر الجمهورية الاسلامية (..) قراراً بمنع الكتاب إلا بعد أن منعته الهند الهندوسية بأكثر من شهرين، فلماذا إذن انتظر نواز شريف والقادة الاسلاميون حتى فبراير ١٩٨٩ وبعد صدور الكتاب بخمسة أشهر لتسيير المظاهرات؟ الاجابة هي في احراج وتوتر القوى النفطية التي تدفع لها بالبترودولارات.

**

لقد تم اصطياد سلمان رشدي وروايته وإدخاله عنصر اثارة وتجارة في حرب سياسية تتخذ الدين شعاراً وستاراً.

ولكن أين ايران؟

استعدوا للمفاجأة..

**

الجاليات الإسلامية في بريطانيا شأنها شأن الجاليات الاسلامية في المانيا أو أمريكا، (تجشمت مواطنة مصرية تعيش في امريكا عناء الاتصال التليفوني بي كي تسبني وتتهمني في ديني!!)، جاليات تعاني من اختراق سياسي سافر «من السعودية ومن ايران» وان هناك داخل كل جالية عددا من التنظيمات المتداخلة والمنفصلة الموالية أو الممولة من انظمة بعينها، تحركها وتثير بها العواصف.. والعواطف.

ولقد تم استخدام الجالية الاسلامية في بريطانيا، أحسن أسوأ، استخدام في قضية سلمان رشدي وبينما كانت السعودية تحرك المسلمين ضد انجلترا بسبب سلمان رشدي لوحت الأخيرة بقضيتها فانسحبت، بينما استثمرت ايران الموضوع برمته ودخلت بحدائها في الارض الرطبة والملوثة!

**

قبل شهور من لعن سنسفيل سلمان رشدي في إيران وإصدار فتوى بقتله.

كان هذا الأديب نفسه يتلقى جائزة الدولة في ايران؟

نعم..

هذه هي المفاجأة التي ادهشتني أنا قبل أي أحد آخر.

لقد قامت الوزارة المختصة بشئون النشر في طهران الاسلامية بترجمة روايتي سلمان رشدي «اطفال منتصف الليل» و«العار» الى الفارسية ووزعتهما على نطاق واسع، وكما في كثير من بلدان العالم الثالث الاخرى - على حد قول د. العظم - لاقت الروايتان انتشاراً واسعاً في ايران واهتماماً كبيراً من جانب القراء والأدباء والنقاد والمحليين، بما فيهم الملاوات طبعاً، وفي الواقع منحت اللجنة الوزارية العليا في البلاد أعلى جائزة «جائزة الدولة المرصودة لترجمات الأعمال الأجنبية الى الفارسي» الى

رواية العار، وفي شهر نوفمبر ١٩٨٨ جرت مراجعة معقولة لرواية الآيات الشيطانية في الصحافة الايرانية، كما نشرت صحيفة«كيهان»، وهي تعادل الاهرام هناك، في الشهر التالي مقالاً عن أدب رشدي امتدحت فيه روايتيه الأولبين ونقدت نقداً شديداً الآيات الشيطانية لكن دون أي تحريض أو تهويش أو استفزاز (..) بل ويضيف د. العظم هنا أهمية مضافة الى كلامه.. ان روايات رشدي المترجمة والفائزة في ايران تحمل بعضاً - أو كثيراً - مما حملته أيضا الآيات الشيطانية (..).

ماذا جرى اذن؟

إبحث عن السياسة؟

**

ننتقل الى الأكذوبة الكبرى في قضية سلمان رشدي.. وهي ان الغرب يحميه!!

أما أن انجلترا تحميه فهذا طبيعي وطبيعي جداً.. فلنتخيل مثلا أن مؤلفا مصريا أصدر كتابا رأت فيه إيران - مثلا - أو غيرها، أن به مساسا بالدين والإسلام، وصدرت من مؤسساتها الجاهزة للفتوى فتاوى قتل وإهدار دم المؤلف، هل ستسارع الحكومة المصرية بتسليم أحد رعاياها وأديبها الى الموت!! أم أنها ستحميه!

الدكتور العظم يرى ان بوكاسا نفسه كان سيلجأ الى حماية سلمان رشدي لو أنه من رعاياه.

وهذا صحيح..

ففي فتوى إيران تجاوز لسيادة انجلترا على رعايها.

فاذا استبعدنا الحماية الجسدية (لاحظ أن ليبيا ترفض منذ شهور تسليم رعاياها للمحاكمة فقط وليس للقتل، لدى دولة أخرى).

فماذا نرى؟

قليلاً مع كتاب د. جلال العظم (وبقي أن نقول انه صادر عن دار رياض الريس في لندن)، وسنعرف ماهو موقف الغرب الحقيقي تجاه سلمان رشدي.. وحتى لانغوص في كلام فارغ أحيانا، حول ان الغرب يضطهدنا ويعذبنا ويجلدنا ويذبح الاسلام، وما الى ذلك من المعلبات الجاهزة في سوبر ماركت الكثيرين في مصر وغيرها!!

لقد كان موقف الرئيس الامريكي وقتها جورج بوش ونائبه دان كويل ووزير خارجيته جيمس بيكر واضحا جداً ولاعنا جداً لسلمان رشدي (..) بل لقد كتب الرئيس الامريكي الأسبق جيمي كارتر مقالا في النيوزويك تايمز (٨٩/٣/٥) بعنوان «كتاب رشدي إهانة» ووجهت رئيسة وزراء انجلترا وقتها مرجريت تاتشر ووزير

خارجيتها جيفري هاو هجوما وسخرية على الرواية ومؤلفها الى حد ان معلقا انجليزيا أشار إلى أن تهجم رئيسة وزراء البلاد ووزير خارجيتها على رواية يشكل حادثة مخزية لهما معاً لا سابقة لها في الحياة العامة في بريطانيا المعاصرة.

موقف رئيس سابق لحزب المحافظين الحاكم في بريطانيا «نورمان تيبيت» وهو المقرب من تاتشر وصاحب نفوذ سياسي يميني قوي وصف فيه رشدي بقوله «الضيف الوقح وغير المرحب به الذي يعوي بإستمرار عواء الجراء ويشكو دوما من هذا البلد كي يلفت الإنتباه إلى نفسه ودون أن يكون لديه أي إستعداد لمغادرته عائدا إلى بلده الاصلي.

كذلك موقف أطراف كثيرة منهم الكاردينال لوكونرو أسقف نيويورك وأبرز شخصية كاثوليكية في الولايات المتحدة الامريكية كلها وأكثرها نفوذاً وتأثيراً في البلاد، فقد أدان رواية رشدي بعد إعلانه صراحة أنه لم يقرأها.

وفي الفاتيكان نفسه، أدانت الصحيفة البابوية اليومية الرسمية رشدي وروايته دون أية اشارة الى خطر الموت الذي يلاحقه، وكان البابا قد تلقى دعوة من آية الله الخوميني الى التصرف تصرف الحماة الحقيقيين للإيمان.

الحقوقي البريطاني الشهير اللورد هارتلي شوكروس الذي

اتهم رشدي بالإساءة الى الحرية التي تشارك فيها جميعا في بريطانيا، كما اتهمه لورد آخر بما يشبه الخيانة، في وقت كانت تمر فيه محاولات بريطانيا إصلاح جسورها مع بلدان اسلامية معينة (اي ايران) بمرحلة حساسة.

إفرام شابيرا الحاخام الأكبر لليهود الاشكيناز في إسرائيل الذي دعا الى حظر نشر رواية «الآيات الشيطانية» في إسرائيل بعد إدانته الدينية وغير الدينية لها.

عامانوئيل جاكو بوقيتز الحاخام الأكبر للطوائف العبرية المتحدة في الكومنولث البريطاني والمؤتمر السنوي للأساقفة الكاثوليك في الولايات المتحدة الامريكية ومؤتمر الكنيسة المعمدانية في جنوب أمريكا ثاني أكبر كنيسة هناك.

وغيرهم..

وغيرهم..

ولكن لماذا أستقبل الرئيس الأمريكي كلينتون سلمان رشدي في البيت الأبيض؟

مرة أخرى انه الإستخدام السياسي لقضية سلمان رشدي في اللعب مع الدول وبالدول!!

**

لقد قصدنا من كل هذا أن نفهم قبل أن نتكلم، وأن نعي قبل أن نهاجم، وأن ندرك قبل أن نحكم.

لقد رأى سائق تاكسي كتاب د. جلال العظم في يدي وعليه اسم سلمان رشدي، فتغيرت ملامحه وفيما يشبه الهجوم والتأنيب الذي لم يصل الى الضرب، سألني:

ـ هل تقرأ لسلمان رشدي؟

قلت.. وكان الخوف لم يتسلل داخلي بعد: ـ وماله نشوف بيقول إيه؟

قال: يانهار اسود، إنه رجل كافر ولابد من قتله.

سألته: عرفت منين؟

قال: من الجرائد..

وأنا أنزل من التاكسي تهكمت وقلت:

ـ يا أخي وانت بتصدق الجرائد؟

وكنت قد نسيت أنني صحفي..

قتل الفنانين

قتل الفنانين

هاهي المساجد تفتح أبوابها للحديث عن مادونا.. وعن نبيلة عبيد.. ونادية الجندي! ليست المساجد فقط بل الشيوخ والدكاترة وأصحاب كراسي الأستاذية في دولة عربية شقيقة (..) فتحوا حناجرهم لإتهام السينما المصرية - ومصر - بأنها تصدر العفن الى المنطقة العربية والاسلامية.

فتحوا الحناجر وأشهروا الخناجر ورفعوا المصاحف.. وسجلوا آلاف الشرائط.. وأعلنوا أن قوافل التائبين في هذا العهر (الذي يسمى الفن) ستفضح السينما المصرية وقذارة الفنانين.. ومجون وفسق الوسط الفني!

وهاهي شركات كاسيت كبيرة وضخمة ومنتفخة تصدر الى مصر الشرائط التي تلعن فنانيها وتجرم فنها وتكفر ممثليها

وتطعن في دورها الثقافي طعن هند بنت أبي عتبة في جسد حمزة (..)

السينما المصرية - الآن - وبعد ٦٥ عاما هي عمرها في أوراق نتيجة الحائط.. ونتيجة المؤرخين والأحلام، مطالبة بالدفاع عن نفسها، لكن رأس الحربة المحمية والملتهبة القادمة من بلاد النفط ضد الفن والسينما المصرية.. رأس حربة تدعي الفن وتزعم العالمية.. وبلكنة ولهجة خليجية سعودية تمسح الحروف المصرية من اللسان.. جاء صوت المخرج انيس عبد المعطي!

هل سمعتم عن هذا الاسم؟

أبدا.. هو أسم مجهول (أو جاهل) قذفت به صناعة التوبة الفنية وتجارتها وتوزيعها، وتسويقها الرائج هذه الأيام، قذفت به أمام المساجد المصرية وعند باعة الشرائط المتطرفة التي تبدأ بلعن العلمانية، وتكفير من لم يحكم بما أنزل الله وقاله عمر عبد الرحمن، وتنتهي بالحديث عن المرأة وحجابها ونقابها وثيابها ومشيتها ونظرتها وهمستها ومعاملتها لزوجها.

والى الفن المحطة النهائية لهذه الشرائط التي تكاثرت وتوالدت وانتشرت وامتدت ولم تعد تلك الشرائط الموزعة والمباعة على استحياء المهربة والمطبوعة في أماكن سرية، بل صارت ظاهرة علنية فاضحة الانتشار.

ومصر بلد طيب..

وأكثر الطيبين والفقراء والبسطاء.. هم الهدف الأول والاخير لشرائط الكاسيت القادمة من جدة الى أنحاء الصعيد والدلتا وفي سيارات التاكسي في شوارع القاهرة!

منذ فترة والهمس يلمس آذان الناس حول مجموعة شرائط كاسيت لرجل يدعي أنيس عبد المعطي تحت عنوان «توبة المخرج السينمائي» المجموعة تتكون من خمسة شرائط مدتها كلها ٤٥٠ دقيقة ويباع بثلاثة جنيهات للشريط الواحد، والمجموعة كلها - لمن لايهوى جدول الضرب - بـ ١٥ جنيها.

والشرائط تنتشر..

بالضبط مع إعلانات الحجاب للفنانات (..) وصيحات تحريم وتجريم الفن والكتب السرية والعلنية.. يأتي شريط الكاسيت ليتسلل الى أذن الناس في مصر.

وهذه المرة الخطب والمحاضرات على لسان واحد يقال عنه مخرج وفنان.. وشاب يقولون عنه عالمياً ويحكي وكأنه واحد من الفنانين المصريين ويتحدث عن الوسط الفني ويصل بالناس الى كون الفن المصري لعبة في أيدي الصهيونية العالمية لتدمير وتكسير وتحطيم الانسان المسلم وأنه عهر وعفن (التعبيرات بنصها).

وأن هؤلاء الفنانين إنما بُعثوا لتسمير الإسلام والمسلمين وإفساد المنطقة العربية الاسلامية..

ليس هذا فقط..

فالشرائط تتقدمها آيات قرآنية بأصوات شجية باكية منتحبة.. بل إن أحد هذه الشرائط ينقل مسامع مختارة من إعلان المطرب السعودي محمد عبده اعتزاله للفن وسط بكائيات قادحة ودعوات حارة وأصوات متهدجة مؤثرة، فضلا عن خطب قصيرة يقدم فيها الشيخ الكويتي أحمد القطان المخرج السينمائي إياه.

وأحمد القطان أحد نجوم شرائط التطرف في مصر، والعجيب أن السنوات العشر الأخيرة انسحب فيها الصوت المصري من اهميته في عالم تلاوة وقراءة القرآن الكريم لصالح شيوخ من السعودية، والخليج كما تراجع الدور الهام الذي يلعبه خطباء وفقهاء مصر لصالح فقهاء الصحراء أو فقهاء البدو.

هذه الجملة الاعتراضية الطويلة تثبت فقط أن الأمر ليس أمر شاب سينمائي فشل أو نجح في حياته ثم ذهب للسعودية ليعلن توبته عن الفن ويتحول إلى داعية لتجريم الفن.

ويصول ويجول في الحديث عن عالميته في هوليوود وبون وبرلين ولندن، وعن جلوسه الى جانب صوفيا لورين وفستانها الطويل بظهرها العاري (والعياذ بالله) وعن مادونا التي رآها

المخرج لثلاثين مرة رؤيا العين وفي ملابسها صينية ويابانية وأمريكية و.. بغير ملابس (!!)

**

ليس أمر شاب فقط قد نتهمه بالخلل النفسي أو المرض الذهني، ولكنه أمر خطة محكمة كاملة منظمة تلعب دوراً في تشويه الفن، وتلقي بكل ما تملكه من ماء النار على وجه الفنانين المصريين بدءاً من عزيزة أمير وعزيز عيد الى شريهان واحمد بدير.

وتبدو الأسماء العالية التي تظهر في الشريط أيضا مثل أستاذ سعودي في جامعة مكة وأسمه سفر الحوالي والذي يتحدث عنه المخرج بإعتباره استاذه وصانعه وراعيه، ويتحدث الأستاذ السعودي نفسه عن توبة المخرج ويرى أن قائمة التائبات تطول والحمد لله وأن الفن يعاني من تقويض وتدمير، وانهيار وتمزيق، وانكسار وانحسار، وتهاوى عروش زائفة.

ويضيف الرجل، أن هؤلاء الفنانين إنما هم عبث وإنما هم مجون وإنما هم أهل التدمير في أبنائنا وبناتنا وزوجاتنا وأهلينا.

ثم نسمع المخرج إياه التائب يتحدث أمام المصلين عن شيخ ثري آخر يذكر اسمه كاملا في الشريط ـ وقد أعلن عن تبرعه ودعمه بـ ٦٠٠ مليون ريال لمواجهة الافكار الهدامة (..)

وهو ما يثير ويؤكد تماماً وجود تنظيم أو تخطيط أو قل منظمة او مخططا وراء هذه الشرائط التي تكتمل أيضا عقب نهاية كل خطبة بفتح باب الأسئلة من المصلين للمخرج التائب (..) حيث يسألون عن فلانة وعلانة ويجيب هو- مثل أي مفتي أو شيخ - عن فلانة وعلانة!

القضية ليست إذن متوقفة عند مخرج مصري شاب أصابه لبس أو مس، أو حتى كان سليما معافا صحيح النفس والبدن، واعتزل الفن (قبل ان يبدأه) ليست قضيته بل ربما ليست قضيته إطلاقا فهو مجرد أداة - مضحكة في بعض الأحيان - لكن الالتفاف حوله ودعمه، لكن استخدامه واستعماله، لكن السعي وراء ذيوعه وانتشاره، لكن اللهث خلف تقديمه للأذن المصرية عبر حواجز الحدود وبأسرع مما يتخيل أحد، ولكن إغراق الريف المصري بشرائطه*، كل هذا يضع علامات إستفهام او إستنكار حقيقية حول دور واضح ضد الفن المصري والسينما المصرية تحديدا

لكن من هذا الشاب؟

خصصت خطبة الشريط الأول كاملاً للتعريف بهذا المخرج وتوبته.. والإنصات المتأمل في خطبه يكتشف مغالطات وافتراءات واضحة لمن قرر أن يكتشف (..)

---

* يذكرني هذا بالشريط الذي تداولته الأيدي في بعض قرى مصرعن توبة مايكل جاكسون، وأطلقوا عليه اسم الحاج مايكل جاكسون.. وأذاعوا حفل توبته أمام مجاهدي أفغانستان (تخيلوا المسخرة).

فمثلاً الشاب يقول: أن الأصابع الصهيونية تبحث في القرى المصرية عن محبي الفن وعباقرته الصغار لأجل وضع العراقيل والعقبات والصعوبات أمام وصولهم للمجد الفني حتى لايتنالون ولايتوبون عن كل هذا المجد بعد كل هذا الشقاء.

ورغم إعتقادنا الجازم أن الاسابع الصهيونية تكمن في أماكن كثيرة من العالم العربي، لكننا ننظر لأصابعهم الباحثة عن الفن والفنانين في القرى على أنها مجرد نكتة.. وإذا مددنا الخط على إستقامته لكان طبيعياً - مثلاً - أن تكون الاصابع الصهيونية واقفة خلف هذا المخرج وهو يخطب في الناس لاعناً مصر وفنها وفنانيها. أو أن الاصابع الصهيونية موجودة في الشركة التي تروج له ولأفكاره.. أو ان الاصابع الصهيونية موجودة في أعيننا جميعاً تخزقها وتعميها عن بلاوينا وعيوبنا ومصائبنا.

ثم يقول أنيس عبد المعطي أنه نجح بعد عذاب في الإلتحاق بمعهد السينما بعد أن تقدم على أربعة آلاف طالب، وكان الأول عليهم فقد قبل المعهد سبعة طلاب فقط.

وهذا كله كلام فاضي..*

---

* أخبرني أحد المخرجين الشبان أنه كان زميل أنيس عبدالمعطي في دفعة معهد السينما.. وأنه ترك المعهد بعد التحاقه بشهرين فقط.. ولم يكن الأول طبعاً.

ثم يزعم انيس عبد المعطي انه قدم ١٢ فيلما عالمياً وطبعاً لانعرف متى لحق مخرج ان يقدم خلال عشر سنوات ١٢ فيلماً وعالمياً أيضاً (!!)

ومتى وأين وكيف؟

المهم لايقول أنيس هنا أية معلومات عن أي فيلم سوى فيلمين، الأول يقول أن أسمه: «حكايتك يابلد» وأنه قدم بأسم «آه يابلد» وكتبوا عليه أن حسين كمال هو المخرج، وهنا تدخل قصة موسمية مكررة أسمها اتهام مجهولين لفنانين معروفين بسرقة أعمالهم واقتباسهم، ولكن انيس عبد المعطي يضيف أن الأمر في القضاء منذ ١٥ سنة، ورغم أن الاضافة لاتعني لدى أحد شيئاً سوى الاصرار على الجنون، إلا انها تعني لدى البسطاء أن الحق لن يضيع وان الرجل مظلوم فعلاً.

وطبعاً لايفوّت المخرج الفرصة في الكلام عن القوانين الوضعية في مصر التي أخرت قضيته، ولا أعرف لو كانت مصر تطبق حدود الشريعة.. هل كان سيثبت أحقيته في الفيلم (..) أما الفيلم الثاني الذي يتحدث عنه أنيس فهو بعنوان «القضية» كان يصوره في السعودية مع محمد عبده، ولكنه لم يتم لتوبة أنيس والتي تبعتها توبة عبده.

أين الأفلام إذن؟ لا أعرف؟

**

لنترك هذا الشريط كله الآن.. ونتجه الى شرائطه التالية التي تأخذ عناوين من قبيل «تشويه المرأة»، «فنون ومجون»، «قذارة الفن»، «حروب الفن ضد الاسلام».. وهي كلها عجينة واحدة وفيها تكرار وإلحاح على مناطق بعينها في حياة الفنانين ولأسماء فنانين محددة ومعينة!

لكن ما يمكن الإنتباه له بداية هو هذا الكم الفاضح المريع من الكلام عن الجنس داخل مسجد وأمام مصلين، وأعتقد أن هذا جزء كبير من نجاح الشرائط هناك قبل هنا.

ثم نتعجب أيضاً لهذا الإصرار على التعامل مع السينما المصرية فقط دون غيرها. هم يقولون لأنها السينما الأم، ولأن مصر تصدر للمسلمين العفن، لكن دعنا نسأل: لماذا لايتوجه بعض الهجوم وليس كله لاسمح الله.. الى فنانين وفنانات من سينمات عربية اخرى، خصوصا ان السيقان العارية تظهر فيها أيضاً.. وخصوصا انها سينما وليدة يمكن ان يكبس المتطرفون على أنفاسها فيقتلونها في المهد.

هذه ليست دعوة أبداً للهجوم على أحد، فنحن نرفض الهجوم كلية وتماماً - وأظن الكلام واضح من أول سطر - لكننا فقط نرسم خطوطاً غليظة حول سر الإلحاح في الهجوم على مصر فقط.. فقط.. فقط (!!)

وتؤكد الشرائط وأصحابها على ثلاثة أمور:

الأول: تكفير فكرة الفن أساساً ودعوة صريحة لإلغائه وإنهائه وعدم السماح أصلاً بالكلام عن دور إسلامي للفن.. فن يعني عهر.. وفنان تعني في الفصحى حماراً مخططاً.. وخلاص.. الفن حرام وكفر.. إلغي.

الثاني: ان الهجوم الضاري الذي تشنه السينما ضد الإسلام مقصود منه اخراج المرأة من بيتها.. والتحذير واضح!

الثالث: ان المكان الذي يتحدثون منه وفيه هو آخر المعاقل المدافعة عن الاسلام.. وماعداها وصلت اليه العلمانية والكفر والصهيونية.

سنعلق على الأمر الأول والثاني وستعلقون أنتم على الأمر الثالث حيث الإدعاء الصريح بأن السعودية هي آخر معاقل الإسلام (..)

**

من هنا نفهم مثلاً كيف ترى هذه الشرائط والخطب. الأفلام التي تناولت التاريخ الاسلامي (أو الأفلام الإسلامية) قد حاربت الاسلام أكثر من أي شيء آخر، بل وكيف طعنت في النبي صلى الله عليه وسلم.

المخرج التائب يقول: في فيلم فجر الاسلام لصلاح ابو سيف.. ظهر الرسول وأصحابه على الشاشة وقام بدور عمر بن الخطاب عبد الله غيث، وظهور الرسول بشخصه وأصحابه على الشاشة

جـريمة لا تغـتـفـر.. ولو ظهـروا هـكـذا لكان أقل وطأة مما ظـهـروا عليه.. لقد ظهر الرسول مثل سحابة وغشاوة والعياذ بالله، وهذا في عالم السينما يسمى رمزية كما تعلمنا، والرمزية استعاضـة شيء بديل عن شيء ليعطي شيئا، والسحابة تنقشع حتى مرحلة ما مع ضوء الشمس، وكذلك الغمامة.. يقولون إن الدين ورسوله سينقشع والعياذ بالله.

أرأيتم خلطاً وجهلاً من القائلين والسامعين أكثر من هذا؟

أما عبد الله غيث فلم يقم بدور عمر بن الخطاب في الفيلم.. لأنه ببساطة لم يكن يمثل في الفيلم إطلاقاً لا دور عمر ولا غيره.. ثم ان أحداً لم يقم بدور عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أي فيلم أو مسلسل.

أما أن الرسول صلى الله عليه وسلم ظهر كسحابة، وأما ما تعلمه المخرج من رمزية يعلمها للناس فهو إفك وكذب، فالمشهد كله كان نقلاً فنياً لما حدث تاريخياً بالفعل حين كانت الغمامة في السماء، وليس في السينما. تتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة في الصحراء أثناء رحلة تجارية لهما (..)

هذا عن التاريخ.. وعن الفيلم أيضاً..

ثم تعال معنا، أليست السحابة في بلاد صحراوية جدباء قاحلة كتلك التي ظهر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم تمثل

الخير والمطر والظل، وان قدومها دليل على رضاء الله (!!)

ثم يقود المخرج الحديث كله إلى عادل إمام.. وقد تعرض عادل إمام - ويتعرض - إلى هجمات شرسة من المتطرفين.. لكن هذا الشريط يقدم أغرب اتهام للرجل وفنه يقول «لقد تحدى بمسرحيته الواد سيد الشغال مسلمي مصر ورجالها في اسيوط وكل البلاد المسلمة وذهب لينتقد الاسلام في عقر داره».

أبشروا فقد أصبحت اسيوط بلد مسلمي مصر ورجالها.. وعقر دار الإسلام (!!)

**

اما المرأة، فكل ما في الشرائط والخطب عنها.،. والفنانات نلن اكبر قدر من الهجوم والتهجم.. «م. ك» مثلاً أقسم المخرج إيماناً مغلظة أن بوليس الآداب ضبطها أكثر من مائة مرة. المفاجأة ان «م. ك» هذه أعلنت اعتزالها وتحجبها، ولا أعرف ما رأيه الآن؟ هل ضبطها بوليس الآداب مائة مرة أو تسعين فقط؟

ثم هذه هي فاتن حمامة؟

يقول عنها «أول فنانة حطمت وكسرت ومزقت المرآة»، وأنها «بدأت في مرحلة النضج تقدم أفلاماً تدمر في شرع الله».

ثم «.........» سعاد حسني، مكان النقط لفظ بشع، قدمت فيلم «الزوجة الثانية» سبحان الله يريدون ان يكبتوا هذا الامر

ويقولون انه لايجوز ولايصح وجود زوجة ثانية.. طبعاً كلكم تتذكرون فيلم «الزوجة الثانية» (..)

أما نبيلة عبيد ونادية الجندي وشريهان وغيرهن.. فالخطب كثيرة وممتدة..

والأكاذيب مستمرة..

والافتراءات بلا انقطاع..

وهذا المخرج يقول مثلاً عن محمد عبد الوهاب: انه لم يبك في حياته خشية الله قط، وأنه بكى مرة واحدة فقط حين تعادلت هولندا مع مصر في كأس العالم، أحرزت هولندا هدف التعادل في مرمى مصر فبكى محمد عبد الوهاب، ياسبحان الله.. لم يكن يريد ان تتعادل مصر، كان يريد ان تظل فائزة ١/صفر مع انه مهزوم أمام الله مائة/صفر.

والعجيب.. ان مصر هي التي أحرزت هدف التعادل في هولندا!

نحن نحذر من موسم الحج القادم وكل موسم حج قادم ماكشف عنه وفضحه أنيس عبد المعطي يؤكد اننا يجب ان نحذر!

ليس بسبب لقاء بعض الحجاج المصريين بالإيرانيين.. ليس لأن الحج تم استغلاله كثيرا من قبل في تبادل المعلومات والخطط واللقاءات الشرعية.. لزعامات التطرف والإرهاب.

ليس بسبب ذلك ولا غيره.. ولكن بسبب وحيد أكيد.. وليس بجديد.. لان آلاف الحجاج المصريين العائدين - ومن بعدهم وقبلهم - آلاف المدرسين العاملين بالخليج يجلبون مع «الطاقية» المخرمة و«السبح» الكهرمانية ملايين من شرائط الكاسيت التي تدعو وتذيع وتروج للتطرف ضمن حقائبهم وهداياهم.

نقول ملايين الشرائط..

لماذا؟

لأن الحجاج يشترون مجموعات كاملة منها (المجموعة تتجاوز احيانا عشرين شريطا) وبحسبة بسيطة للجمع أو الضرب أو القسمة سنكتشف أن عدد الشرائط سيصل للملايين.

فضلاً عن حركة المبادلة والطبع والنسخ التي ستجري بعد ذلك والمصيبة الأخرى ان هذه الشرائط تكتسب مع روحانية الحج وعظمة هذه الشعيرة وقداستها النبيلة، ستكتسب فضلا وأهمية ومصداقية وخطورة اكثر من أي شرائط أخرى. والمشكلة أن من بينها ستكون شرائط انيس عبد المعطي (..)

وقد تصدر أسم أنيس عبد المعطي قائمة الشرائط المتطرفة التي تم ضبطها بالآلاف في مصر، وقد عاد مؤخرا الى مصر وبشكل آمن ومطمئن الى أن أحداً لن يعاقبه ولن يرفع صوته في وجهه.. عاد أنيس عبدالمعطي من السعودية واستدار الى

الصـحـافـة ليعلن براءته من هذه الشرائط.. وهـي براءة مزيفـة بنفس درجة زيف شرائطه.

نحن لانصدق - وليس لأي عاقل أن يصـدق - ان هذا الرجل قرر الضحك علي صانعي ظاهرة التوبة من الفن وانغمس معهم ليكتب عنهم فيلماً.

هذا ليس كلاماً فارغاً فقط.. بل فارغاً جداً..

ماعلينا..

فبإعترافات أنيس عبد المعطي أنه كان يساير الشيوخ هناك ويضـحك عليهم ولهذا قام بتسجيل هذه الشرائط وتقديم هذه الادعاءات تكشف وتعـري فـضـائح شرائط المتطرفين ودعـاة التطرف والتوبة عن الفن.

ومثلاً:

١ - من الواضح جداً ان هناك تنظيما ممولاً وراعيـاً مـخططاً لقضية التوبة عن الفن، ومهمته التقاط أي منتم للفن ليعلن توبته حتي لو كان هذا الشخص نكرة بلا معنى ولا شهرة ولا ماضي ولا حـاضر ولا مسـتقبل.. المهم أن يُؤتى بهذا الشخص ويُصنع على عجل ويقدم كنجم مـصـري تائب وتنشر حوارات معه أو صور له يتم استخدامه في المساجد والندوات والمحـاضرات ويقدم لآلاف المصلين - خصـوصـا المصريين في هذه الأرض المكرمة - ويدورون به على كل بقاع

الخليج ويطبعون له الشرائط (وملايين الشرائط).. ويبدو جلياً كيف تعامل أعضاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع انيس عبد المعطي عندما عرفوا أنه مخرج سينمائي، فقد توسموا فيه فوراً إمكانية تحويله الى أداة في خدمة ضرب الفن المصري.. وقد نجحوا.

٢ ـ ليس مهما قيمة الفنان بقدر ما هو مهم ما يقوله عن الفن وما يبتليه على الفنانين.. ليقف أنيس عبد المعطي على منبر جامع تحت دعوى أنه فنان تائب، ثم يرفع صوته ويؤدي بنبرات خليجية تماماً دوره المرسوم.. فيقول عن سعاد حسني انها فاجرة وفاتن حمامة فاسقة وانه جلس مع فلانة وهي تشرب «.........» ومع علانة وهي مع ترتان!.. وهكذا.. المطلوب تلطيخ الفنانين. وقد تم.

٣ ـ ليس مطلوبا ان تتوجه هذه الشرائط للمتطرفين، ابداً، المطلوب ان يسمعها ويرددها المواطنون المصريون في الخليج، وان يحملونها معهم الى مصر وقراها ومدنها، المطلوب ان يشعر الملايين من هؤلاء بالعار من الفن «المصري» وبالتنصل من الفنانين «المصريين» وبالكراهية للثقافة «المصرية».

٤ ـ بعد ان يقوم الجميع بدورهم في تقديم نجم وداعية التطرف والتائب عن الفن، يتولى الأمر آخرون.. يمولون الشرائط

(كما يمولون الأسلحة والتنظيمات بالضبط). ويمررون هذا الداعية على المساجد والمدن والقرى.

٥ ـ في ظل التصدير «الخليجي» لشرائط التطرف يصبح طبيعياً ان يلتقط المتطرفون في مصر هؤلاء الدعاة الجدد، فتستضيف جمعيات أنصار السنة أنيس عبد المعطي في مساجدها، ويطلب منه راكبو «الميكروباصات» الذي التقى بهم صدفة «كما قال للصحف» المحاضرة في أحد المساجد ويعرضون عليه، مدفعا رشاشاً ليحميه (لاأعرف يحميه ممن؟!).

٦ ـ لابد أن نسأل أنفسنا ـ وغيرنا ـ كيف يرعى كل هؤلاء المشايخ وأساتذة الجامعات وعلماء الخليج هذا المخرج وغيره؟

نبدل «كيف» الى «لماذا»؟.. لماذا يتنقلون به من «مسجد الى مسجد»؟.. لماذا يقدمون له في المنابر ويروجون له في المحاضرات ويشرحون كلامه في الشرائط؟

انها شبكة كاملة تعرف ماذا تفعل!

وقد فعلت!!

فإذا كانت مهمة البعض هي تحويل الدين الى تنظيم إرهابي، فمهمة البعض الآخر دفع المواطنين العاديين الغلابة والمهاجرين

إلى الخليج سعيا وراء الرزق إلى متعاطفين وانصار ودعاة للتطرف بمجرد حضورهم الى مصر!

المطلوب أن يصدقوا ما يقوله خطباء وشيوخ التطرف في الخليج عن مصر ونظامها وفنها.. وان يروجوا لذلك وأن يتعاطفوا كذلك مع كل حرب إرهابية ضد الفكر والفن والإبداع.

والوسائل سهلة وبسيطة ومحمولة جواً.. انها الشرائط، ٢٥٠ ألف شريط تم ضبطها في المدارس المصرية.. هذا ما تم ضبطه، فماذا عما تم توزيعه وتسريبه وتهريبه؟

وهذا في المدارس فقط.. فماذا وراءها.. ومعها؟

السؤال الآن..

تراجع أنيس عبد المعطي وكشف بطولته لفضيحة كاملة مع سبق الإصرار والترصد.. لكن هل تتوقف سيول شرائطه؟.. حتى لو توقفت.. هل لن يتكرر عشرات مثله وغيره؟

**

لو ان في مصر من يسمع الكلام..

ما كان كل ماجرى.. قد جرى!

ان قضية أو ظاهرة أو كارثة شرائط التطرف ليست وليدة اليوم، ولا حتى وليدة أول أمس.. انها الظاهرة التي صرخنا نحذر

منها منذ فترة طويلة..

إنها أخطر من رصاص القتل وعبوات النسف..

فهي الإرهاب الحقيقي..

الارهاب الذي يتسلل الي العقل ويسكن في الوجدان..

ويدفع اليد للسلاح.. والدم.

هل هذا كلام «إنشا»؟

او موضوع تعبير يستحق درجة مرتفعة في الإمتحان؟

ممكن جداً..

ولكنه حقيقي..

ســاندرا!

ساندرا

منذ سنوات، كتبت نبيلة عبيد في إحدى مقدمات مسلسلاتها اسمها «نبيلة محمد عبيد».

هكذا على ما أذكر..

كان ذلك رداً على شائعة أنها مسيحية، فسارعت نجمة السينما إلى النفي بهذه الطريقة.

وبنفس الأسلوب تقريبا، رد مجدي وهبة (الممثل الراحل) على شائعة أنه مسيحي بنشر أسمه «مجدي محمد وهبة».

وقتها لم يلتفت أحد كثيراً للدلالة وأهمية الشائعة والنفي معاً، وأظن ذلك في نهاية السبعينات ومطالع الثمانينات (اذا لم تخنّي الذاكرة وهي لاتخونني في العادة).

وفي المرحلة نفسها كتب د. يوسف ادريس مقالاً نارياً - أعاد نشره فيما بعد بأحد كتبه - رداً على خطاب أرسلته قارئة هل هو مسيحي أم مسلم؟ وأنها هي مع صديقتها قد تشاجرتا حول الحقيقة وقررتا الإحتكام اليه، يومها أنبّها د. يوسف ادريس - بكل ما هو معروف عنه من حماس وروعة - وهاجم بعنف فكرة طرح سؤال من هذا النوع وكأنه أساس للفصل بين أن تصدقك قارئة أو تكذبك، ولكن د. يوسف ادريس أخبرها في نهاية مقاله أنه مسلم «مسلم ياستي.. إرتحت»!!

وقد لجأت الى نفس ما فعله د. يوسف ادريس في مقال لي أكدت فيه - أمام أسئلة شديدة السخف وهجوم شديد الحمق - أنني مسلم (مسلم ياجماعة إرتحتوا).

لكن أحداً لم يفكر في سر الحرص لدى الكثير من الناس حول معرفة ديانة الكاتب والإرتكان اليها في الحكم على ما يكتبه، وهو السر نفسه الذي يحاول الفنان معه أن يذكر ديانته رداً على أسئلة أو شائعات يحكمها الحرص نفسه والفضول الأحمق لمعرفة ديانة الفنان.

وبينما أرى عشرات الناس يحبون نجوماً أمريكيين ويعلقون صورهم في حجرات نومهم، ويعشقون مطربين أجانب ويشترون كل جديد لهم أو عنهم، وهم يعرفون معرفة كاملة يقينية أنهم

مسيحيون، لكن بمجرد أن يشكوا في اسم مطرب أو مطربة مصرية يسرعون للسؤال هل هو مسيحي أم مسلم؟! وكأن المعلومة الجديدة سوف تحدد إختياراً قادماً ولا أستطيع آن أزعم هنا أن الفضول وحده هو الذي يحكم مثل هذه الأسئلة!

وقد إنتابتني هذه الخواطر طيلة الفترة الماضية ومنذ شعوري اليقيني والحقيقي أن ثمة تغييرات قد مست قلب المجتمع المصري في هذا الصدد، وأن علينا قبل أن نهتف بحب مصر (ولامانع من الهتاف على ألا يكون بصوت المطرب محمد ثروت فقط) أن نفكر فيما حدث لنا بروية وهدوء.. علينا أن نعرف كيف ظهر التشرخ في سقف المنزل، بينما لم نكن قد لاحظناه طيلة السنوات الماضية، وربما لاحظناه لكننا أقنعنا أنفسنا أنه شرخ في الطلاء و«البياض»، أما الخرسانة بخير (!!).

لكن هذه الخواطر تحولت الى آلة دائرة لاتكف عن دهس سكوتي، حينما شاهدت فيلماً قصيراً أسمه «آخر شتا» كان مشروع تخرج المخرجة الشابة ساندرا نشأت، وقد عرض ضمن مسابقة مهرجان الاسماعيلية للأفلام التسجيلية لعام ١٩٩٣.

هذا الفيلم بكل مقاييس السينما والفرجة والمنطق والدين والعلم والحساب والهندسة والكيمياء والجداول الاحصائية، بكل هذه المقاييس فيلم رائع ومدهش، يستطيع أن ينفذ الى قلبك

ويتربع على أحاسيسك ويملأ وجدانك ويشغل بالك ويشغل مخك ويحرك كل سنتيمتر تجمد في مشاعرك (..).

إنه يحكي ببساطة عن «فريدة» الطالبة الصغيرة، إبنة الأسرة المسيحية الغنية، التي ترتدي نظارة تبعدها عن اللعب مع صديقاتها في المدرسة، ثم تذهب في أجازة نصف العام إلى العزبة حيث تلتقي مع طفلة فقيرة، وتتبادلان الصداقة والحب، ثم الرسائل بعد عودتها من الأجازة، وبينما هي تستعد للسفر إليها في أجازة نهاية العام، تفاجأ بأن والدها باع العزبة وأنها لن تعود اليها أبداً، هذه الذكريات تشق قلب فريدة وهي الآن سيدة كبيرة حين دخلت الكنيسة لتعترف للقس، بينما لمحت عروساً تدخل الكنيسة وتنسى فريدة بعدما أخذتها الذكريات نظارتها على حافة شباك الاعتراف، لكنها تعود لأخذها كأنها تبصر حياتها وتستعيد ذكرياتها من هذه النظارة.

الجديد أن الفيلم كله بالأبيض والأسود ومهدى الى زمن الرومانسية، وأنه لايتحدث عن الوحدة الوطنية، أقصد أنه ليس مباشراً ولا خطابياً ولايمكن أن يكون مثلاً من انتاج الهيئة العامة للاستعلامات.

إنه فيلم ساحر لمخرجة ساحرة (حصلت على المركز الأول في دفعتها بالمعهد) لكنها أثبتت لي شخصياً وأنا جالس في قاعة عرض بسيطة معتمة في الاسماعيلية أنني في حاجة للإجابة عن

أسئلة طرحتها على نفسي (وعلى القارىء في هذه السطور) كما أثبتت لي أيضاً أن السينما المصرية يمكن أن تجيب عن كل هذه الأسئلة فقط ليس على طريقة نبيلة عبيد، ولكن على طريقة ساندرا نشأت.

ثالثاً: رحلة سريعة للعقل

هــذا الجــزء

مهدى إلى الشـابة

شـهيرة سمير سـامي



رحلـــة

في الطريق الى المانيا.. وفي أي من الطرق الى مدنها لا تجد أبداً لافتة تحمل عبارة «ابتسم أنت في ألمانيا».

ومع ذلك فأنت لا تملك سوى الإبتسام.

فهذا البلد الذي يمثل فيه حزب الخضر (وفروعه وتوابعه) قوى سياسية برلمانية واسعة تدافع عن الخضرة والبيئة.. تطالب بحقوق «الخضرة» في المانيا.. هذا البلد ليس فيه شيء أكثر من «الآلات» إلاّ الخضرة!!

فوق الجبال (وقد صعدنا فوقها بتليفريك) وداخل الغابات (وقد اجتزناها بأتوبيس أغدق علينا بالمتعة) وفي الشوارع (وقد مشينا فيها حتى أنت الأقدام). وفي البيوت حيث لم يكتف سكانها بخضرة حولها وأمامها بل يضعون على نوافذهم وأبوابهم

مساحة خضرة بزروع وورود وزهور غانية (الصوت الوحيد الذي يمكن أن يزعجك أثناء تجوالك بين البيوت صوت آلة تهذيب أوراق الشجر).

كل هذه الخضرة.. وأكثر.. بينما تحمل على كتفك خرافة أن مصر بلد زراعي!!

نعم.. لو كنت ريفياً مثلي قادماً لأوروبا لأول مرة ومازلت مستعداً لكي تندهش (!!!) فإن الخضرة التي إستقبلت دقائقي الأولى (ومنذ لحظة إطلالة الطائرة على مدينة فرانكفورت) تستدعي داخلك عنف - وعبث - مقررات الجغرافيا التي درستها في الثانوية العامة.

فمصر قد تكون بلداً زراعيا (رغم ان أي مقارنة انتاجية مع ألمانيا زراعيا ليست في صالحنا)، وقد يكون معظم سكانها يعيشون على الانتاج الزراعي لكن الحقيقة انها كما انها لا تحب الخضرة.. فهي لا تحب الزراعة!!

مع احترامي لكل ثوابت التاريخ - وليس لأوثانه - فإن ألمانيا - على سبيل المثال - لم تدع شبراً من مساحة أرضها أصفر!!

لقد زرعت الجبال والسهول والغابات ووضعت اللون الأخضر في أراضيها.. وصدور أولادها.. بينما نحن (البلد الزراعي) نمزق مساحات الخضرة (والخضرة ليست زينة بالمناسبة) تحت الأسمنت.. نحن نعشق البنايات الأسمنتية الي حد إغتصاب

الزراعة بالدرجة نفسها التي نعشق فيها العمل في المصالح الحكومية.

ومع ذلك فان المانيا (أو الألمان) غير راضين عما وصلوا إليه من زراعة.. وخضرة..

بعد كل ذلك!!

فعلاً، فمشكلة (أو سبب حضارة) المانيا أنها لا تقارن نفسها بالصومال!!

كما لا يظهر على شاشتها اي مسئول (الماني طبعاً) يصرخ في شعبه ويقوله (إحمدوا ربنا.. انتم مش شايفين البلاد اللي مش لاقيه تاكل والبلاد اللي ماشفتش خضرة).. إن المانيا ـ كغيرها من عالم الغرب ـ تبحث عن النموذج والمثال، تطمح للكمال (والكمال في الدول غير الكمال في الشخوص)، ولا تنظر تحتها أبداً، إنها تنظر فوقها، ولا تقارن نفسها بمن هم أقل وأدنى.. بل لا تكف عن محاولة «التقدم» و«التطور».

ويمكنك أن ترى المانيا الحقيقية في مصنع سيارات.

لقد دخلنا الى مصنع «أوبل» في مدينة بوخوم (أحد أجمل بلدان المانيا) ولن أترك نفسي ـ وأنا صاحب علاقة محدودة للغاية بالتكنولوجيا ـ منطلقاً نحو الانبهار بالأداء داخل المصنع، رغم أنه يستحق الانبهار تماماً» (١٢٠٠ سيارة كل وردية) فضلاً عن

تجربة مشاهدة بناء سيارة من مجرد كونها بعض معدن ملتو الى كونها سيارة متكاملة مروراً بكل مراحل تصنيع سيارة (ساعتها تشعر أنك أمام مشهد سينمائي مصري مما يظهر فيه الطفل وقد كبر فجأة وصار زوجاً).

ورغم ان هذا المصنع شهد لقائي الأول الحار والملتهب بالانسان الآلي شخصياً، إلا ان ما يدفعك الى تصور تجسيد هذا المصنع لألمانيا تماما ليس عدد العاملين فيه (١٧ الف عامل ومهندس) ولكن رقم الباحثين الذين يعملون في مركز أبحاث المصنع، حيث يبلغ عددهم ٨ آلاف باحث!!

وسأترك لك فرصة التحليل.. وربما مصمصة الشفاة، لكن أرجوك دقق النظر في الأرقام لتعرف لماذا تتقدم المانيا... ولماذا يتقدم الغرب؟!

في شوارع المانيا لم أر سيارة واحدة ليست في مصر، بل إن السيارات التي «تخزق» عينك في القاهرة ليست موجودة في برلين وبون وهامبورج (وهي أشهر المدن)، ولكن الفارق الهش والضعيف والهامشي بيننا وبينهم، أننا نركب السيارات، بينما هم يصنعونها دائماً.. ويركبونها أحياناً!!

فالمانيا من أشهر دول العالم في إنتاج السيارات (مرسيدس وأودي وبي إم دبليو وفولكس وأوبل وغيرها).. إلاّ أن السيارات لا تملك ـ وحدها ـ شوارع المانيا!!

حين تمطر سماء المانيا.. تمطر بإخلاص وأمانة وتفان ألماني صرف.. وتتشابك السحب الضبابية مع بعض ريح عابث فوق الطرق السريعة، تنطلق سيارات كثيرة تحمل فوقها دراجتين في وضع قائم، كأنها مستعدة للانطلاق من فوق سطح السيارة. هذه الدراجات فوق السيارات مشهد يومي في كل إنطلاقة من مدينة إلى أخرى، لكن المدن نفسها.. داخلها، وسط شوارعها، لا أكثر من الدراجات (هذا في وطن السيارات)، إن كل شيئا الذي إحتشد في السنوات الماضية كان متمثلا في أن الصين (بكل مافيها من بساطة وطيبة وملابس زرقاء) هي بلد الدراجات (لم أذهب الى الصين، لكن الصين جاءت لنا كثيراً)، لكن في سياق إعادة النظر في السيارات أو إعادة الاعتبار للدراجات، فإن المانيا بالفعل صاحبة صوت، وصيت، بالغ الروعة في الدراجات، إن أجمل مشاهد صباحية رأيتها في بون مثلاً، هؤلاء العجائز الملونون بالحمرة، مرتدو الـ «تي شيرتات» البيضاء والنظارات الأنيقة (شهرة أخرى تضاف لألمانيا: إطارات النظارات) وهم يقودون الدراجات في الشوارع العامرة بالخضرة وعلى ضفاف نهر الراين (بالمناسبة لا يوجد أجمل من نهر النيل.. أي نهر!!) إن الطرق المستدة للدراجات وحدها في شوارع هذه المدن، والحفاوة البالغة لراكبيها وانتشارها المذهل والكثيف وأنواعها المتعددة ورواجها بين كل الطوائف والشرائح هناك، وتحولها الى

وسيلة مواصلات حية وهامة، كل هذا يدفعك لحب الدراجات! (بالمناسبة لا أجيد قيادة لا السيارات ولا الدراجات)..

وقد استدعت مشاهد الدراجات الراكنة أمام المصانع والمصالح بكثرتها وإنتظامها في صفوف.. إستدعت المشهد اليومي الذي ألقاه في القاهرة حين عبوري فوق كوبري فيصل، حيث مئات الدراجات الراكنة أمام الشركة الشرقية للدخان، وكيف نمتعض من الدراجات لدينا ونتعامل مع ركابها بإعتبارهم صبيية جلب الخبز من الأفران أو مراهقي الثانوية في شوارع القناطر، بينما لو أتيحت لمصر حرية الدراجات لتمكنا من إنقاذ أتوبيسات القاهرة من زحام خانق ولأرتفع مستوى الرشاقة والمعاملة بين موظفي مصر!!

أكلما تحدثنا عن ألمانيا قادتنا أقدامنا لمصر!!

وحتى في كرة القدم...

دعنا من أن استاد ناصر أفخم وأجمل وأروع من أي إستاد رياضي ألماني على الإطلاق، لكن مشهد الجماهير هناك مبدع تماماً في خلق حالة البهجة والروعة في تشجيع الكرة، لكننا لا ننوي الكلام عن بكنباور ولا أحفاده، فقط في استاد بوخوم، حيث شاهدت مباراة كرة القدم بين حوالي ٢٠ ألف متفرج، كانت المفاجأة أن هناك عشرين ألف كوب بيرة (عبوة نصف لتر) في أيدي الجماهير.

فنحن في وطن البيرة..

على مسئولية الألمان الكثيرين الذين سألتهم، فإن ألمانيا بها ألف نوع من البيرة، بل هناك تنافس مريع بين المدن حول صناعة البيرة، وفضلاً عن أنها أنهار من البيرة، إلا انني رأيت ثلاثة أشخاص فقط «مسطولين» في بون وبرلين!! (تقيم الشرطة كمائن في الطرق وتوقف بعض السيارات لإجراء اختبار فوري لكشف تناول أصحابها للبيرة.. وتسحب الرخص فوراً اذا كان السائق قد تجاوز الحد المسموح به للشرب أثناء القيادة.. (وبالطبع لا يستطيع أي ضابط «معرفة» أو جار مهم إعادة رخصتك من الكمين على الطريقة المصرية).

هذا المجتمع الذي يشرب ألف نوع من البيرة، غير مسطول على الإطلاق، بل هو نفسه المجتمع الذي يبني ويزرع ويصنع ،،، ويتحد!!

ليست هذه دعوة لشرب البيرة طبعاً.. لكنها دعوة للتعقل في الحكم على الشكليات.. فالتقدم يأتي بالعلم والعمل، ثم بعد ذلك (بعد ذلك بكثير) يأتي السلوك الشخصي!!

لا أتمنى لمصر أن يكون مشروبها الوطني البيرة كي تصبح مثل ألمانيا.. ولا أن يقبل فتيانها فتياتها في الشوارع علناً وبحرارة طازجة!!

لا أتمنى ذلك أبداً.. فضلاً عن أنه لن يحدث، لكن أيضاً لن

تصبح مصر بلداً صناعياً وعملاقاً اقتصادياً بإطلاق اللحية وارتداء النقاب (!!)

فهذا كله لا يوقر في القلب.. هذا كله محض شكل (حسابه عند الله) لكن العمل والعلم (ولست في حاجة الى شرح مستفيض في موقف الإسلام العظيم الداعي للعلم والعمل!!) هما السبيل الوحيد لنكون دولة.. ثم دولة عظيمة..

عندما وصلنا «بون» أولى محطاتنا في المانيا، كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساء، وكان الأتوبيس يخوض بنا في شوارع المدينة، شوارع ساكنة ساكتة.

كان حظر التجول مفروضا على المدينة، هدوء ليلي مريع متشابك مع ظلال الخضرة تحت الأضواء الحانية، وكان شعور يغمس نفسه في جلدي اننا أمام «ماكيت» مدينة، أو انها ديكور مدينة في استديو سينمائي أمريكي!!

أين البشر؟!

حتى إنه اذا لاح شخص واحد من بعيد في شارع صرخنا جميعاً ـ ركاب الأتوبيس ـ

ـ هييه.. فيه بني آدم هناك!!

وصفقنا وهللنا..

هذه هي ألمانيا.. النوم من السادسة بمجرد وصول عقرب

الساعات الى الدقيقة الستين من الساعة السادسة، فمعنى ذلك أن المحلات تغلق. أما المدن فتستسلم لهدوء مدو.

ولكن الألمان لا ينامون في السادسة تماماً..

ربما في السابعة تقريباً..!!

وقد عدت من برلين وهي تستيقظ من نومها لإستقبال شيخ طريقة شاذلية....

الشيخ كان في جولة أوروبية. زار فيها الآلاف من مريديه وأبناء طريقته في عواصم الغرب، باريس وجنيف، ثم برلين ومنها إلى عواصم أخرى.

في برلين.. كان الإستعداد على قدم وساق. فمنذ فترة تم تجميع التبرعات المالية من أبناء الطريقة في برلين. فالشيخ في جولته الأوروبية يسافر ويقيم على حسابهم.

أبناء الطريقة الصوفية في برلين. اشتروا شقة مساحتها ٢٠٠ متر في أحد الأحياء المزدحمة وأعدوها مسجداً للطريقة وفرشوها بأحدث وأجمل السجاجيد واستعدوا كي يفتتحها الشيخ.

ويقال إن عمر عبدالرحمن قد يأتي أيضاً الى برلين.

أول من سافر الى المانيا.. من هنا، من مصر..

كان مجموعة من الطلبة الذين أوفدهم جمال عبدالناصر عام ١٩٥٨ ضمن بعثة علمية للمعهد الفني الصناعي..

لكن معظم هؤلاء أقاموا في برلين وحصلوا بعد سنوات على

الجنسية الألمانية..

السنوات نفسها كانت كافية كي يرسل عبدالناصر فوجاً ثانياً من الطلبة لنفس الغرض..

وبنفس الطريقة.. لم يرجع هؤلاء الى مصر.. وأقاموا هناك.. وتجنسوا بالألمانية..

هل لهذا الرجوع التاريخي أي دلالة.. أو أي هدف؟!

ربما لا شيء أكثر من أن بوابة برلين القديمة كانت مفتوحة منذ زمن طويل للعرب والأجانب.

هذه البوابة التي أدخلت تحتها حوالي ٣ ملايين تركي يقيمون الآن في المانيا (بكل مدنها وبلدانها) بل ويقيمون حياً كاملاً داخل برلين يحمل اسمهم «الحي التركي» يظل مستيقظاً طوال الليل، واستطاع أن يفرض على عالم الأطعمة الألمانية وجود لحوم مذبوحة على الشريعة الاسلامية.

لكن الأتراك غير المصريين!!

فاذا كان الأتراك قد زحفوا الى المانيا عقب الحرب العالمية الثانية، حين كانت البيوت مهدمة (والناس كذلك).. وكان كل حلمهم أن يقيموا سنوات في المانيا، بعدها يعودون الى تركيا لشراء شقة أو بناء بيت.

فالمصريون معظمهم (أقول معظمهم) خرجوا من مصر الى

المانيا بحثا عن حياة طويلة هناك.. كما ان معظمهم بحثوا عن البيت الآمن، وعن بطاقة الهوية الألمانية (!).

وعن جواز السفر!!..

والآن...

في المانيا (ولغة الأرقام لغة ألمانية أصيلة) وصل عدد المصريين الى ١٤ ألفاً منهم أربعة آلاف في برلين العاصمة.

ويمتلك المصريون داخل برلين فقط ـ وعلى سبيل المثال ـ ٥٠ مطعماً (ليست كلها مطاعم فول وطعمية).

و١٤ صيدلية.

و٢٤ مسجداً..

مساجد برلين ليست مساجد بالمعنى المعماري المتعارف عليه في مصر، بل هي عبارة عن شقق واسعة جداً أو طابق من عمارة مفروش بالسجاجيد وملحق به مكتبة صغيرة ومزود بتكنولوجيا الصوتيات (ميكروفونات، سماعات، ستريو).

على أرض أحد هذه المساجد جرت معركة أهلية سريعة بين التنظيمات الاسلامية التي تحكم عرب المانيا (ومصرييها)، حتى ان زعيم تنظيم منهم هدد بأن يجعل الدم «للركب» لو لم ينضم المسجد الى تنظيمه.

لكن ماهي هذه التنظيمات؟!؟!

عملياً فإن الإخوان المسلمين أول تنظيم اسلامي يغزو المانيا، وتمركزهم الأساسي في مدينة ميونخ وتكاد سيطرتهم على المركز الاسلامي بميونخ تكون تامة.

فضلاً على بعض النفوذ (قل أو كثر) على ١٣ مركزاً اسلاميا اخرى تحت سيطرة العرب في مدن المانية (أشهرها في برلين واخن)، كما يملكون النسبة الأعلى من المساجد الالمانية.

والإخوان، بدأوا منذ الستينيات هذا الزحف الالماني (لا أستطيع الجزم بأن التنظيم الدولي للإخوان المسلمين مركزه ألمانيا وإن كنت لا أستطيع أن أنفي أيضاً).

ويتميز الأخوان في المانيا بقدرتهم التنظيمية الصارمة وثراء أعضائهم وكبر أعمارهم وتمكنهم من التجنيد البطيء والمنتظم، ولكنهم يتمتعون بكراهية من قبل التنظيمات المتطرفة الجديدة.

من أشهر هذه التنظيمات تشدداً هم اتباع الحبشي الذين كفروا ابن تيمية وسيد قطب (الذين كفروا الجميع بدورهم)، وإذا كان المصريون النسبة الأقل في هذا التنظيم العربي، إلا انهم مؤثرون ومتشددون جداً وشباب أيضاً (!!)

وهناك كذلك «حزب التحرير» الذي يسيطر عليه الأردنيون، لكن تظل مشاركة المصريين ضاغطة وواسعة، ويصبح تكفير

النظام المصري من أولويات الخطب المنبرية!!

يبقى أيضاً تنظيم «الطليعة» لصاحبه عصام العطار وهو تنظيم سوري - فلسطيني - مصري يعتمد على الشباب ويتمتع بقدرات تنظيمية عالية.

وقوام كل المجموعات والتنظيمات المتطرفة، باستثناء الاخوان المسلمين، يعتمد على الجيل الجديد الشاب من المهاجرين، كما يتركز على أصحاب الأعمال الحرة (غير المرتبطين بالحكومة الالمانية او التنظيمات العمالية أو المشروعات الرسمية)، كذلك لا يتجاوز أعضاء أحد التنظيمات مائة فرد، لكن يعوض قلة العدد، سرعة العمل ونشاط الحركة، بينما تنظيمات اخرى ينضم اليها المئات (ومعظمهم أسر عربية بالكامل)، أما الآلاف فهم الجمهور المتعاطف والأغلبية ا لصامتة التي ترتاد المساجد وتستمع الخطب، وتبقى أهم وسائل التجنيد أو الانحياز للتنظيمات، اللقاءات الشخصية والمحاضرات الاسبوعية ودروس المسجد وشرائط الكاسيت وكتب التنظيم.

وتمثل تبرعات الأعضاء التي تبدأ بالمئات وتنتهي بالآلاف، أهم بنود الدعم المالي للتنظيمات التي تستطيع غسيل دماغ الأعضاء، وإثارة حاستهم الدينية واستثارة غربتهم وإسلامهم ضد مظاهر الحياة الأوروبية، والدفع بقضية الأهل والأبناء الذين اذا تركوا على غير عادات وقيم آبائهم لانحرفوا وانفلتوا، مما يستدعي

مشاركة مالية ضخمة من الأسر المصرية والعربية لبناء المساجد، ودعم الجماعات، لكنها سرعان ما تستخدم في مآس سياسية وانحرافات مالية طائلة، لكن أكثر ما يردده العرب في المانيا شيوعا هو التمويل الرسمي من دول عربية نفطية تشهد ترددا دائماً من بعض قيادات تنظيمات التطرف الاسلامي في المانيا، كما يشهد موسم الحج حضوراً المانيا كثيفا ولقاءات برموز مؤسسات نفطية مالية كانت وراء الدعم المالي لمن اطلق عليهم مجاهدو أفغانستان.

ومما يعطي للكارثة أبعادها الحقيقية، فإن المتشددين والمتطرفين العرب في ألمانيا، يخوضون حربا على منابرهم وفي خطبهم وبياناتهم وتجمعاتهم العائلية ضد المسلمين الألمان (٨٠٠ ألماني اعلنوا اسلامهم في برلين وحدها خلال السنوات السابقة) ويتهمونهم بصراحة ووضوح بالعمالة للحكومة الألمانية وانهم جواسيس «كول» على الاسلام (!!)

المعلومات التي حصلت عليها من خلال زيارة خمس مدن المانية أكدت لي أن المانيا هي أكثر الدول الأوروبية استعدادا لخلافة نيويورك نيوجيرسي في استضافة ظاهرة التطرف الإسلامي.

بل إنها كانت أسما وارداً لاستقبال عمر عبدالرحمن زعيم المتطرفين ومفتي التكفير يوم كانت أسماء العواصم الأوروبية

تتكاثر استعدادا لاستقباله في حالة طرده من أمريكا (!!).

لكن يبقى السؤال الموجع عن ظاهرة المتطرفين المسلمين في الغرب!!

وهي ظاهرة بكل ما تحمل الكلمة من مرادفات وإيحاءات ومعان، ظاهرة لها أبعادها وأطوالها وأعراضها، ظاهرة لها شكلها ومضمونها وأنصارها ورجالها!! ونساؤها.

إن بعض التفسيرات التي تكتسب مصداقية لدى تحليل هذه الظاهرة، تؤكد ان المسلمين يواجهون تحدياً حضارياً وغريبياً في دول أوروبا يستدعي إستنفار كل الحواس والمشاعر الدينية داخلهم.

إنهم يلتفتون فيجدون نساء نصف عرايا وفتيات تتخلص من غشاء البكارة تحت بصر أهلهم. وشباب يرتدون «حلقان» في آذانهم، وشذوذاً جنسياً متاحاً وموجوداً وأفلاماً متخصصة في الجنس ليلة الأحد في التليفزيون، وشارع بغاء في قلب المدن وبيرة مشروباً قومياً وخموراً برخص التراب.. و.....

ولهذا لا يجد المواطن العربي المسلم سوى دينه لمقاومة كل ذلك، ثم سرعان ما يتحول دينه بكل طقوسه وشعائره سياجاً وقفصاً يحميه، ثم سرعان ما يتحول أكثر وأسرع الى حصن يقاوم به كل ما حوله ويهرب فيه مما يحيطه ويفر به مما يحاصره.

لكن هذا التفسير يظل قاصرا على شرح هذا اللغز (تطرف المسلمين في قلب عالم الغرب).

فالحقيقة ان الغرب - وكل ما قلناه عن شوارع الجنس وغشاء البكارة والشذوذ حقيقي - لكن أليس تافهاً وسطحياً أن يكون الغرب هكذا فقط.

الغرب نفسه الذي يتشدد العربي ويكفره!! هو الذي فتح أبوابه للمسلمين وعاملهم معاملة أفضل مما يعامل به البعض في بلدانهم (الاسلامية)، وأتاح لهم فرص العمل والنجاح وامتلاك المحلات والشركات، وحوّل فقراءهم الى مليونيرات، وأتاح لأولادهم أعظم فرص التعليم الحقيقي وأمتعهم بالتكنولوجيا وأعطاهم جوازات سفره وحماهم بالقانون، بل وترك لهم حرية واسعة غير محدودة للدعوة للإسلام، بل وتركهم يدخلون المئات والآلاف من أبناء الغرب الى الاسلام، دونما اتهام لأحد بكفر أو معصية أو مخالفة قانون (!!)..

والغرب أيضا هو الذي جعل من حرية العبادة لله والسب للغرب أمراً متاحاً جداً. وهو أيضا الذي ترك آلاف النساء من العربيات المسلمات يلبسن الحجاب والنقاب في شوارع مدنه وعواصمه، كما لم يضرب أحداً من أبناء المسلمين لأنه تجرأ على أن يصلي في حديقة بأحد ميادينه (!!)..

الغرب به بعض الفسق (مثل الشرق أيضاً)، وله بعض القيم المخالفة لنا (ولنا ما نخالفه)، لكن بكل ما أعطاه للمواطن المسلم المقيم في بلاده (أنا لا دخل لي الآن بموقف حكومات الغرب من الدول العربية والاسلامية، فلهذا موضوع آخر) بكل ما أعطاه الغرب للمسلمين.. هل يستحق منهم أن يكفروه (!!) واذا كان المواطن (م ب) قد خرج من مصر غاضباً عليها ناقماً منها (وهو حر)، وسافر لأوروبا (فاختار المانيا)، وتسكع في شوارعها وعمل في مهنها وحصل على مالها وتزوج من بناتها وتمكن من الجنسية الألمانية، وامتلك محلا وثانياً وثالثاً وصار صاحب سيارتين، وله أبناء يتعلمون في المدارس مجاناً (التعليم هناك مجاني في كل مراحله)، وأستطاع أن يحافظ على لغتهم العربية وحفظهم للقرآن الكريم، ويرتاد المسجد ويتبرع لبناء مسجد آخر، ويزود المكتبة بكتب سيد قطب وسيد سابق، ويدعو للإسلام وأدخل أقارب زوجته في الدين الإسلامي.. كل هذا ولم يمس الألمان شعرة من شعر ذقنه. كل هذا وأكثر ولا أحد يقف في طريقه أو طريق سيارته.. ثم بعد ذلك كله يقول إن الغرب كافر والمانيا كافرة والألمان كفرة.. من يكون ساعتها المتعصب..!! من يكون ساعتها العنصري!!.. الألمان أم السيد م. ب؟!!

لكنهم سيقولون: ماكل هذا التحامل من هذا الكاتب صاحب الغرض غير الشريف المنبهر بالغرب، المحارب للإسلام، ما كل

هذا التحامل، ألم ير في الأيام التي قضاها بألمانيا (وجاء منها ليحكم علينا ويتهمنا هذه الاتهامات)، ألم ير النازيين الجدد، العنصريين في ألمانيا؟!

وأقول.. لا.. لم أر؟!

ألا يريدون الحقيقة، إن المظاهرة الوحيدة التي رأيتها في ألمانيا (وفي هامبورج تحديداً)، كانت تضم الآلاف.. وكانت ضد النازية والنازيين الجدد!!

ثم إنه كلام آخر..

فالفقر والسوء والتواضع وما يذكرك فورا بمدن مصرية - طيبة ومجتهدة.. وفقيرة - هذا أهم ما يميز ما تبقى من برلين الشرقية تحديدا، باستثناء المباني الاثرية والكنائس القديمة، فلا أكثر من الإشتراكية.

هذا ليس موقفا معاديا للاشتراكية ولا حتى لألمانيا الشرقية، فقد دافعت ألمانيا الشرقية (يوم كانت دولة) عن القضية الفلسطينية (يوم كانت قضية) وعن الحقوق العربية ودعمت وأيدت مصر وغيرها في أشياء كثيرة تصل الى حد«الفضل» و«الجمائل» السياسية، لكن ذلك لاينفي ما نراه بأعيننا هناك (أو فيما تبقى منها).

ماتبقى من برلين الشرقية.. يفنى!

بعض اماكن محدودة جدا بها احد السورين (كان هناك سوران لبرلين وليس سورا واحدا. يفصل بينهما عدة أمتار في المنطقة المسموح فيها بالقتل لأي هارب «طبعا من المانيا الشرقي») لقد «حوطت» الحكومة الألمانية على طرافة التاريخ ومأساته و«مسخرته» فوضعت أسلاكا شائكة حول ما أبقى عليه السياح من سوري برلين، بينما زال أثره وعادت البيوت المتصدعة إلى سابق وحدتها.

ماتبقى من برلين الشرقية أيضا بدأ طريقا عاجلا للفناء فالطرق اليها يعاد تعبيدها ورصفها والبيوت في بعضها يعاد بناؤها ويسرق بصرك في أحد أحياء برلين، هذا المبنى الضخم الذي تنظر إليه فتراه باهتاً، نوافذه وشرفاته ولونه، ثم سرعان ما تكتشف ان هذا كله لوحة قماشية مرسومة بدقة شديدة للشكل الذي سيكون عليه هذا المبنى بمجرد اكتماله (وخلف هذه اللوحة تعمل المعدات والاوناش وفرق المهندسين والعمال).

وهكذا بالضبط ترى برلين الموحدة.. انها لوحة (باهتة قليلا) لعاصمة متلألئة قادمة.

من بين هذه الألوان الباهتة في برلين، التحذير من النازيين الجدد، من العنصريين وحوادث السرقة، ورغم أنني كنت أتمنى أن تحدث لي حادثة سرقة في برلين حتى أكون في نصف قامة

وأهمية يوسف ادريس (تعرض يوسف ادريس لسرقة في نيويورك وكتب عنها مقالا بديعا) إلا أنه من الواضح أن القدر يريدني مثل يوسف ادريس تماما وأجل لي حادثة السرقة مثله حتى نيويورك (..) وبعيدا عن هذه الأمنية (الغالية) فإنه بالفعل.. كان هناك خوف ما من تعرض النازيين لي، لكن الحقيقة أن شيئا لم يحدث، لقد كان شعوري هو نفسه شعور السياح الأجانب الذين يستمعون الى نشرات الاخبار في بلادهم ويرون حوادث العنف وقتل السياح في مصر فيتصورون انهم لو جاءوا الى القاهرة لقتلوا بالرصاص في وسط البلد.. لكن لا احد يقتل احداً في وسط البلد (..) ولا النازيون يقتلون الاجانب في الشوارع ، انها ظاهرة ألمانية وغربية بحتة لكن ماهي هذه الظاهرة؟

إنها الاهتمام الكثيف الرهيب بكل حوادث (مهما كانت تافهة) قد تشغل الرأي العام أو تثير اهتمام الجماهير، كما أنه منهج غربي تماما، ذلك الذي يتعامل إعلاميا مع اي شيء يمس ولو شخصا واحدا بإعتباره قضية هامة تبث على الهواء مباشرة، بنفس الإهتمام الذي تجري فيه كاميرات التليفزيون لتصوير سقوط طفلة في بالوعة مجاري واستضافة أهلها للبكاء امام شاشة التليفزيون، فإنهم يسرعون لتغطية حوادث التظاهر أو التعدي على الاجانب حتى لو كان شيئا هامشيا صغيرا، فضلا عن أن ذلك أيضا حرص إعلامي وسياسي لاشك في إخلاصه

على تقديم كل عورات وعيوب المجتمع بلا مداراة، لأن ذلك هو الطريق الوحيد لإصلاح العورات وليس الرقابة والتعمية والبيانات المبهمة.

لاجل ذلك كله تظن أنك ستموت في المانيا إذا سرت وحدك!

ولاجل ذلك كله لا تموت في المانيا إذا سرت وحدك؟

هل معنى ذلك أن المانيا خالية من المتطرفين العنصريين النازيين؟

من المؤكد ان الاجابة لا.. بل أن عددهم تزايد منذ سنوات، فاذا كانت الاسباب التي تقدم لنا هناك لتفسير هذه الظاهرة بأن وراءها البطالة (دعني أقول لك ان العاطلين هناك يحصلون على إعانات بطالة مالية شهرية.. وكافية احيانا) وان وراءها الضواحي العصابية العشوائية (نموذج متكرر في مصر ايضا).

فانهم يضيفون الى هذه الاسباب أيضا أنضمام أبناء زعامات وقيادات وطبقة الحزب الشيوعي التي كانت تحكم ألمانيا الشرقية ثم ضمرت وانتهت وجلست في البيت والسجن وانهارت إمتيازاتها وأموالها.. مما دفع أبناءها - بعض أبنائها - لتعصب وتطرف (!!)

إلا إن ذلك كله يسمح لنا بأكثر من نظرة:

١ - العنصرية هناك عنصرية قومية (الحزب النازي كان أسمه

الحزب الوطني الألماني) لايحمل أي شعارات دينية ولا يفصل بين الناس بالدين، لكن بالجنس والجنسية وهو يساوي - في صورة أكبر قليلا - تعصب بعض الأخوة العرب في معاملة بعض الأخوة العرب (..) الآخرين الذين سافروا الى دول النفط وهناك لقوا معاملة فوقية سمتها الإستعلاء (عن جهل) والإضطهاد (عن تعصب) وتصل احيانا الى العنف البدني ولا يمارس ذلك بعض (شبان) النفط (حليقي الرأس)!! بل أيضا «شيوخ» كبار بل كذلك حكومات دول (لايزال قتل المصريين في العراق ماثلا للأذهان او ممتنعا عن النسيان وظاهرة الكفيل في السعودية والكويت أسود صفحات في تاريخ العلاقات المصرية العربية

٢ - التعصب أو التطرف الالماني يظل تطرف قلة حقا وجماعات معظمها من الشبان بينما لم يفلح في التغلغل لشرائح وطبقات المجتمع الالماني، ولم تتسيد اشكاله ومظاهره أنحاء البلاد مثلما سادت أشكال ومظاهر التطرف (عندنا) انحاء البلاد (عندنا)، أعني أن التعامل مع المتطرفين الألمان تعامل مع عصابة أو عصابات من النازيين، وليس تعاملا مع تيار فكري متغلغل ومتسلل الى كل «مناصب» الدولة وهيئاتها أو يدفع الحكومة - مثلا - الى «وساطة» أو «حوار» معه.

٣ - ثم ان مواجهته ليست مواجهة حكومة فقط، فليس مهمة

مناهضة للأمن هناك، بقدر ماهي مواجهة حضارية شاملة، مواجهة يخوضها المجتمع ، وليست الحكومة وحدها وشرطتها بمفردها. مجتمع يدافع عن نفسه ضد عاره وهذا مايعبر عن نفسه في مظاهرات عارمة عديدة ضد النازية وعن رفض جماهيري متسع ويتسع للعنصرية وعن تحركات لاتتوقف من الأحزاب والجمعيات وشرائح المجتمع كله لمواجهته.

هذا فارق - او فروق - لابد أن تكون واضحة عندما نبرر لأنفسنا انتشار التطرف لدينا بإنتشاره في أوروبا أو ألمانيا تحديداً.

ثم يبقى أيضا - مع كل ذلك - أن لكل مجتمع مبرراته وظروفه وملابساته ولكل حضارة أمراضها والتي قد يصل مرض بها الى حد الوباء أحيانا.

إن السير في برلين آمن على الأقل لمدة أسبوعين!! هذه العاصمة الجديدة التي ستتسلم عهدتها كاملة من بون عام ١٩٩٨، بون تلك الموظفة الحسناء والقرية الجميلة الحالمة النائمة في أحضان بيت بيتهوفن وتماثيله التي تمثل إحداها ميدانا امام مصلحة البريد في بون يجلس الأطفال تحته ويجرون حوله وهي نفسها التي تتعامل مع بيت عمدتها القديم على أنه حدث تاريخي

وافر يستحق الزيارة والتأمل حين الجلوس على مقهى صغير أمامه والسؤال كيف يمكن الدنيا أن تدور؟ وتصبح بون هذه القرية المدينة التي لم يخطر على بالها أبدا أن تكون عاصمة، تصبح عاصمة (!!) حتى أنهم - في ظل حمى البحث عن مقومات العاصمة - لم يجدوا مقرا للبرلمان ولنواب الشعب وأعضاء الأمة، فسارعوا بتحويل محطة مياه قديمة في بون (بما فيها من قاعة غير متسعة ولاتمثل ربع مساحة قاعة مجلس الشعب المصري) إلى برلمان.

هذه المحطة نفسها التي صارت برلمانا أغرقتها مياه نهر الراين التي تطل عليه، وافسدت اسقف البرلمان المحطمة، وبذلوا جهدا سريعا ومتلاحقا لإنقاذ مبنى البرلمان الذي وجدوه بالعافية.

وعلى ذكر البرلمان، فالزيارة التي يحرص على إعدادها الألمان لأي فوج سياحي في بون، هي زيارة مقر البرلمان، لكن شيئا من البرلمان لم يلفت انتباهي بقدر المرشدة التي استقبلتنا للتعريف بالمكان، انها مواطنة من الأرجنتين متزوجة مواطنا من بولندا يعيشان في المانيا (..)

والحقيقة أنه كلما خطوت قدما في شارع هناك وجدت أمما متحدة!!

إن المانيا معبأة بالأجانب، لقد دخلت مطعما وتلعثمت في السؤال عن الطعام وخلوه من لحم الخنزير فوجدت الجرسون

الأسمر يبتسم ويقول لي: حضرتك مصري، ثم عرفت أنه من الصومال واسمه حمزة، وسألته هل أنت من مؤيدي عيديد فأبتسم وقال: إنه من شمال الصومال (..) وبعد فترة عدت لحمزة في وقفته نفسها فاذا بهذا الشخص يقول لي انا لست حمزة، أنا عابد زميل حمزة من الصومال أيضا.

بعد دقائق اكتشفت أن المطعم يعمل به أكثر من عشرين صوماليا.

وحينما تشكو من إرتفاع الاسعار في محل، تجد صوتا وراءك ويدا تلمس كتفك.

المحل دا غالي روح المحل اللي قدامنا، وتلتفت فيقول لك حضرتك مصري، أصل أنا لبناني، ثم ترى شخصا عابرا في الميدان ممسكا بصحيفة مصرية فترفع أنت الصحيفة المصرية التي في يدك وتبتسمان - بصرة.. ثم ترحلان، وعندما ذهبنا الى مطعم بيتزا، كان اندرياس (المرشد الالماني النشط والمتدفق حبا لعمله) فخورا بأنه أتى بنا لمطعم ايطالي متخصص في البيتزا، لكنك تكتشف بعد دقيقة واحدة مع ذهول اندرياس، أن أصحاب المطعم فلسطينيون وأنه لا علاقة لهم بإيطاليا، وهم أشقاء أربعة يملكون ويعملون في المحل وفي نهاية المأدبة دار صراع بينهم حول من أهم ممثل كوميدي عربي قديم حسن فايق أم عبدالسلام النابلسي (وطبعاً لم أخف انحيازي للثاني).

وامام كاتدرائية كولون تفرش عشرات النساء الكرديات خيما ومعارض تندد بالعدوان التركي على الأكراد (..) ويرقصن ويغنين ويصورون بكاميرا الفيديو وعلى مقربة منهن معرض للتضامن مع «البوسنة».. كذلك عشرات الناس الذين يقتربون حتى أطراف جيبك ويشحذون باسم البوسنة.

فضلا عن تلك الشابة الألمانية التي وقفت على الرصيف تعرض كتبا عن مأساة البوسنة والهرسك وأعطت درسا لنا وخطبة حارة من فوق الرصيف، للدفاع عن حقوق المسلمين في البوسنة وهاجمت كثيرا عنصرية الصرب.

حتى الذي لاتجده في النهاية أجنبيا عن المانيا او عربيا.. ستجده مثل جرسون الكافتيريا الذي ضحك عندما رآنا نتكلم العربية سألناه: هل انت عربي؟

لم يفهم لكنه أضاف من عنده أنا متزوج من مغربية وأعرف عربي لابأس.. لا بأس..

حتى أننا قررنا ـ بعد كل من صادفتهم عربا وأجانب ـ أن نعانق أول الماني نراه في الشارع ونقول له:

ـ حضرتك ألماني يا أهلا بك في وطنك الثاني ألمانيا..

رابعاً: حرق الدم.. السياسي

١ ـ كلينتون

٢ ـ يلتسين

٣ ـ عبد الناصر

٤ ـ الزعماء العرب

رابعاً

كلينتون

كلينتون*

سيدي الرئيس الأمريكي بيل كلينتون...

وأنت تصعد - اليوم - الى منصة حكم الولايات المتحدة الأمريكية، وتنقل لنا آلاف الشاشات، آلاف التفاصيل الدقيقة لمراسم تعميدكم رئيساً أمريكياً.. أكتب لك.

لقد كان شعاركم المرفوع طيلة التحيب الانتخابي في واشنطن «الاهتمام بالناس أولاً» وقد استمعت (وربما استمتعت) بالتهاني والكلمات المفخمة التي تلقيتها من الرؤساء العرب والأمراء والملوك قطعا(..) وصار ضروريا أن تسمع - كما سمعت - صوت الناس هنا اذا كنت مصراً على شعارك بأن الناس أولاً.

والناس هنا ياسيادة الرئيس يرونك - الي جانب وسامتك وشبابك - رجلاً قادراً على التغيير في جهات الأرض الأربعة(واذا أردت أن تكون جهات خمسة فمن الممكن ان تفعل وقد يصدق

* كتبت في ٢٠ يناير ١٩٩٣

الكثيرون خاصة عندنا) ولذلك فنحن مهتمون بك وبما تفعل ونتابع حديثك وكلامك (وقبلهما صورك) وقد قرأنا ما قلته في«رؤية لتغير امريكا»وتوجهت بها للشعب الامريكي الذي أيدك وانتخبك، لكنني اندهشت ايضا لأنك - يا للغرابة - تريد ما نريده نحن لدينا، بينما تحاول أن تنفذ في ولاياتك ما أردت،تمنع عنا ما نريد وتدفعنا الي ما نرفضه ونخشاه.

أقصد - سيدي الرئيس - الناس الغلابا الذين قصدتهم أنت والعجيب أن كل ما طرحته في «رؤيتك» انما يصب لصالح الفقراء ضد الأغنياء، لكننا نسألك لماذا يؤيدك أغنياؤنا فقط ويرفضك فقراؤنا؟

أنت تقول «أن حكومتنا على ما نريد على عقد من الزمان مهيأة للعمل لصالح الأغنياء والمصالح الخاصة وفي حين يزداد أكثر الامريكين ثراء غني فإن الإمريكيين من أبناء الطبقة المتوسطة يدفعون ضرائب اكثر لحكومتهم ويحصلون على الأقل مقابلها....وعلى مدي اثني عشر عاما كانت الفكرة المحركة وراء السياسة الاقتصادية الامريكية هي تخفيض الضرائب على أغنى الأفراد والشركات بأمل ان تقطر ثرواتهم الجديدة على بقيتنا .وقد فشلت هذه السياسة».

انت اذن تبحث عن الفقراء لديك.. بينما الحكومة الامريكية - أيا ماكانت تسعي وراء الفقراء في العالم الثالث فتلهب ظهورهم

بصندوق النقد الدولي والبنك الدولي وقرارات مجلس الأمن وهي كلها لافتات خشبية تقف وراءها أعمدة حديد أمريكي، إنك تجري لأجل شعبك الفقير بينما نحن نجري أمام اغنيائنا الذين يحبونك ويمدحونك وينامون وصورة امريكا تحت الوسادة وعلم امريكا ملاءة مفروشة فوقهم، إنك تبحث عن العدالةالضريبية واقراض الطلبة لإستكمال تعليمهم وتوفير رعاية صحية وإتخاذ إجراءات صارمة إزاء شركات صناعة الأدوية وشركات التأمين والقضاء على الإنفاق التبذيري والحد من نفوذ المصالح الخاصة وان توقف ما اعتاده موظفو البيت الأبيض (كما تقول) ان يحملوا دافعي الضرائب تكاليف نزهة يقومون بها للعب الجولف أو المزايدة على الطوابع النادرة وتقف أمام الخبراء الذين قلت عنهم « نجد واحداً من كل اثنين من كبار موظفي وزارة التجارة الأمريكية قد تعاقد للعمل لدي دول سوف يواجهها ذات يوم عبر مائدة المفاوضات ونحن ياسيدي ـ كل من فاوضكم متعامل عندكم،، أو لديكم أولكم!!

كل هذا لدينا وأفضح وأفدح

ولديكم من يقول ولكن لالدينا من يقول ولامن يسمع

بدّل أمريكا كما تريد أيها الرئيس

لكن دعنا أيضاً نبدّل أوطاننا

أنت تضع رأسك بين الرجل وزوجته في العالم الثالث ، إن

سياسة أمريكا لاتخدم أغنياءنا فقط لكنها تقتل فقراءنا وتعصف بهم، وأمريكا هي التي تسعي - وتحقق - الهيمنة على قرارنا السياسي وقوتنا الغذائي وأحلامنا الاقتصادية سياستكم تدفع أغنياءكم للسباحة في نهر المسيسبي، وتدفع فقراءنا للبكاء دمعا كنهر المسيسبي (بالمناسبة هل رأيت نهر النيل؟)

إنك عندما أطللت الي الشرق الاوسط في رؤيتكم المقدمة للشعب الامريكي تحدثت عن اسرائيل - وانتقل عنها ماتشاء فأنت الرئيس الامريكي ونحن العرب رعايا رعاياك!!

لن نتحدث عن اسرائيل فلا معني للكلام عنها معك،لكن سأحدثك فقط عن الديمقراطية والاستقرار الذي قلت عنهما هدف السياسة الخارجية قلت« يجب ان نعزز الديمقراطية في الشرق الأوسط في مختلف أرجاء العالم»إن ادارة كلينتون لن تقيم علاقات استراتيجية مع نظم الحكم الخطيرة الاستبدادية».

لا أظن أنك أصبت بقدر ماأصبت في الحديث عن الديمقراطية وأنظمة الحكم الإستبدادية وأنت الذي تملك البيت الأبيض - وأي بيت أبيض أو أحمر أو أسود في العالم كله - وتملك الأمم المتحدة وغير المتحدة.

إذن اترك أرض العالم الثالث ..إرحل عنا بسياستك ومخابراتك بنفايات أمريكا النووية المدفونة في صحرائنا..

واشعتها النووية المدفونة في جوفنا، بعمليتكم السرية والعلنية، بالثروات التي تذهب إلى بطن الشركات الأمريكية (التي لاتدفع ضـرائبكم)، ارحل عن الارض التي يسكن فيهـا السفـراء الأمـريكان بأوامـرهم وتعليـماتهم.. وحضـورهم حفـلات الإستقبال(..)

نحن نريد ان نستمتع بخطبك عن حقوق الانسان وأفلام كيفين كوستنر وأحدث ما كتبه آرثر ميللر وآخر نتائج مباريات البيسبول، لكننا لانستطيع ان نفعل ذلك كله وحـالات الطائرات الأمريكية تركض فوق وسائدنا وطلبات صندوق النقد تشعل النار في ملابسنا الداخلية.

سيدي الرئيس، تريدها ديمقراطية، لكن هل تسمح لمقاعد الحكام التي تجلس فوق أعناق العالم الثالث أن تدع الشعب حراً، وفي أول خطوات حريته سيرفض سياسة أمريكا!!

أم ستظل حريصـا على هؤلاء تدافع عنهم وتدفع لهم أحيانا وتحميهم أجهزة مخابراتك تساندهم سفاراتك (عندما أمر أمام مبنى السفارة الأمريكية أشعر بخوف ورهبة ولاأستطيع ان أبلع أبداً أن هذا المكان ينتمي الى جوليا روبرتس وميشيل فيفر!)

أيها الرئيس الأمريكي

لقد سمـعنا لك وسنسمع طيلة السنوات القـادمة، لكن هل

ستسمعنا أنت دقائق في كل هذه السنوات.

حتي إذا سمعت،لا أظن أننا سنحصل على أكثر من إبتسامتك السينمائية.

وسلم لي على مدام هيلاري الرائعة.



يلتسين

ليس هناك أسوأ مما حدث في موسكو سوى ما قيل عنه في مصر!

ماحدث في روسيا يخص أهل روسيا

تعالوا نحن إلى مايخصنا.

لاينفع بأي حال أن ندافع عن الديمقراطية بعد الإفطار ثم ندفعها إلي الفرن على العشاء أو نطالب بالديمقراطية في مصر ونطلب دمها في موسكو لاينفع هذا ولو فعله مصطفي أمين (الذي لايحرمنا من مراقصات الديمقراطية كل يوم) وجمال بدوي (رئيس تحرير صحيفة الوفد وهو الحزب صاحب التاريخ (التاريخ) الليبرالي الطويل.

الأول كتب في عموده الشهير في الاخبار والثاني كتب في إفتتاحية صحيفته كل منهما يبريء يلتسين من دماء القتلي

واغتصاب الديمقراطية(بما تبقي له من رجولة سياسية) ويُحمل الشيوعية والشيوعيين مسئولية أنهار الدم وانهيار الحرية في موسكو والحرب الأهلية (المزمعة) والدمار الذي لحق ببيت البرلمان (الذي صارشبه ببيت الأشباح في مدن الملاهي الراقية).

لقد وجد البعض (وهم كثير لكن لاشيء نعرف عنهم) فرصة لمص دم الشيوعية بمناسبة أحداث موسكو، والبسوا الحق بالباطل وغالطوا حتي كدنا نسأل هل فعلا الدفاع عن الديمقراطية يشبه محل تجارة التجزئة يمكن أن تبيع وتشتري فيه ـ هكذا بلا رادع ـ مبدئيا لاداعي لتكرار اتهامات سخيفة أننا شيوعيون تدافع عن أصدقائنا في موسكو فلا نحن شيوعيون ولا لنا أصدقاء في موسكو. أصدقاونا هم الديمقراطية والعدل والحقيقة وإذا كان اتهام أي مخالف للرأي بأنه شيوعي سهلا الي هذا الحد، فهناك إتهام مضاد أكثر سهولة وهو إتهام العمالة للغرب وأمريكا «الخ»!! لا داعي للإتهام الأول حيث أنه ليس أسهل من الإتهام الثاني ولنترك ذلك ونبحث عن الحقيقة معا.

هناك مغالطات يجب فك الإشتباك ـ والاشتباه ـ فيها أولا ثم سنجد أنفسنا أمام الحقيقة وجها لوجه (ووجهها صبوح فيما أظن)

منذ سنوات وفي ميدان السلام ببكين، وقف طالب جامعي

أمام دبابة دخلت الي الميدان فمات، فصار بطلا عالميا وشهيدا للديمقراطية (وأنا أعتبره كذلك أيضا) وانتفض العالم الغربي - ونحن ومصطفي امين وجمال بدوي من ورائه - نرفض ديكتاتورية الصين وأي ديكتاتورية أخري، والتقي الرئيس الامريكي يومها بالطلبة الصينين وصارت قضية الديمقراطية في الصين هي الموضة التي تنافس النينجا تيرتس وعودة الديناصورات(!!) الآن.. بعد هذه السنوات يهتف العالم الغربي - وبعضنا من ورائه - لنفس هذه الدبابةالتي دخلت البرلمان الروسي لماذا؟ وكيف؟

إذا كانت العودة للوراء هي سمة الحياة المصرية والأفكار المصرية، فقد فعلناها الآن.. ولكننا نضيف دأب البعض (الذي قلنا أنه كثير) على إعتبار حسب اللاتوف وروتسكوي وإنتفاضتهما شيوعية تماما وأنها محاولة من الشيوعين للعودة للحكم والسيطرة على البلاد وأن هذا البرلمان شيوعي تم إنتخابه حين كانت الشيوعية تسيطر على البلاد.

إنصافا للحقيقة - لاأكثر - فعلى هؤلاء أن يتذكروا التالي:

١ - من كان رئيس هذا البرلمان منذ سنوات لم يكن سوي يلتسين نفسه!! البرلمان الذي انتخب في فترة الشيوعية وتحت ظلال الزيزفون الشيوعي.

٢ - حين قام انقلاب اغسطس ٩١ ضد جورباتشوف وكان

انقلابا شيوعيا فاشلا(أعطي درسا في الفشل النموذجي) لم يتصد له سوى اثنين حسب للاتوف ثم.. يلتسين.

٣ - ليس خافيا على أحد - أو علينا على الأقل - ما نشرته الصحف الغربية (الغربية) أن يلتسين يوم إنقلاب أغسطس ١٩٩١ كان متوجها الى السفارة الامريكية ليطلب اللجوء السياسي وأن مصادفة واحدة غيرت تاريخه ومستقبله.. هذه المصادفة لم تكن سوى مقابلته لحسب للاتوف رئيس البرلمان الذي خلفه بعد انتخاب يلتسين رئيس اروسيا ضمن جمهوريات الإتحاد السوفيتي عندها تشجع يلتسين.ثم كان ما كان.

٤ - أن حسب اللاتوف ورتسكوي وغيرهما لو كانوا شيوعين حقا ويطالبون بإنقلاب عسكري شيوعي لم يكن عليهم الا تأييد ماحدث في أغسطس.. لكنهم أيدوا جورباتشوف وعاونوا يلتسين.ثم جرى ماجرى.

٥ - أن هذا البرلمان لم يتم بإنتخابات مزورة وتعبئة للبطاقات الانتخابية، بل بإنتخاب حقيقي وأن ممثليه - مهما كانوا - يظلون معبرين عن الشعب ودوائرهم وافرادهم وان المساس بالبرلمان مساس بالأمة وأن حل البرلمان ليس أمرا سهلا في الغرب مثلما يحدث في دول العالم الثالث بارك الله في برلماناتها!!

٦ـ اذا كان هؤلاء النواب شيوعين سابقين، فهذا ليس مشكلة لأن يلتسين نفسه شيوعي سابق بل هذا الرجل الذي يقود حملة امريكا للتصفية العرقية السياسية في موسكو،حاول الإنتحار عام ١٩٨٧بقطع شريان يده لأنه استبعد من المكتب السياسي للحزب الشيوعي في موسكو. لقد كان يحب الحزب الشيوعي حتي الانتحار(!!)

٧ـ ان إجراء يلتسين بحل البرلمان لايشفع له أن البرلمان شيوعي فالمحكمة الدستورية العليا قضت بأن هذا إجراء غير دستوري، فما رأي الذين ينادون عندنا بإحترام الدستور بعد تعديله) هل يتعاملون بهذه البساطة المزرية مع قرار رئيس دولة غير دستوري ولاقانوني لا شرعي!!

٨ـ ثم ان يلتسين لم يكتف بذلك، بل حل ١٦ حزبا وعددا من الجمعيات السياسية وأغلق صحفها .. مارأي السادة الأفاضل، هل هذه الإجراءات، إجراءات رجل ديمقراطي ينقذ وطنه من الشيوعيين، أم أنها إجراءات دكتاتور من العالم الثالث هبط فجأة على موسكو؟ إذا كانت كل هذه الاحزاب شيوعية فمعناه أن الشيوعية قوية وأن الشيوعيين متمزقون، لكنها في النهاية ساحة سياسية جماهيرية على كل الأحصنة أن تجري فيها.

٩ ـ يقـولون ان حسب للاتوف وروتسكوي لوكـانا يتـمـتـعـان بالشـعبية لتـحركت الجماهير والجيش للدفـاع عنهما ، ونحن ابناء العالم العربي أدرى «بمسخرة» الصراع على السطة، لكن هذه أول مرة نسمع عن حكاية أن الجيش يميل في أي صراع إلى أصحاب الحق وليس الى أصحاب السلطة، اذا كانت ملايين الجماهيرقد أحجمت عن تأييد روتسكوي ولم تحمه، فهي أيضا أحجمت عن تأييد يلتسين ولم تحمه(.) لاأحد منهما إستطاع إخراج الملايين من صندوق شعبيته لينطلقوا في الشوارع (!!)

١٠ ـ وعلى ذكر الجماهير، فان موقف أمريكا في هذا الصراع يثبت أنها لاتعادي المسلمين والعرب فقط دونا عن خلق الله ولاتعتمد سياسة هضم حقوق المسلمين فقط، انها ببساطة بموقـفـهـا ضـد الديمقـراطيـة في روسـيـا تكشف بوضـوح الصـورة (الملونة) والصوت (المجسم) انها مع مـصـالحـها سواء كانت ضد الغرب أو الديمقراطية أو المسلمين.

عبد الناصر

عبد الناصر

لاأعـــــــرف هـل لايـزال الناصـريون يذكـرون (حـتي كبار مسئوليهم،.كبار السن) أن الإخـوان المسلمين حـاولوا قتل عبدالناصر في حادث المنشية عام ١٩٥٤؟..

ولا أعـرف هل لايزال الناصـريون يذكـرون أن الإخـوان هـم أنفسهم الذين دبروا محاولة إنقلاب ضد عبدالناصر واغتياله عام ١٩٦٥(أدى الأمر كله إلى إعدام سيد قطب)؟!

من المؤكد أن الناصريين يذكرون..

لكن الذكرى لا تنفع الناصريين!!

منذ اللـحظة الأولي لخـروج الحـزب الناصـري إلى الحـيـاة السياسية (وكان خروجه قضاء.. وقدراً!!) ولاحقته التوقعات أو

الشائعات ان الحكومة «أفرجت» عنه حتى يتحول إلى حزب يواجه الإخوان والجماعات المتطرفة، وقد بذل ضياء الدين داود - أمين عام الحزب - جهودا مشكورة (ربما شكره الإخوان أو الناصريون.. أو الحكومة) لنفي ذلك..

لكن أكثرنا لم يكن يتوقع أبداأن يتحول الأمر الى العكس، فهذا تستر أو تهادن أو تحالف بين الناصريين والجماعات المتطرفة (...).

• • •

لنضع أولاً إشارات مرور في هذه القضية منعا للالتباس او للانفعال (وهي سمة غالبة في الحركة الناصرية):

١- إن أي ناصري يمكن أن ينفي هذا الكلام من جذوره لسبب بسيط.. أن كل ناصري لا يمثل إلا نفسه، وليس أسهل من أن يقول لك: «الناصريون لايرون ذلك»..

فتطلب منه مثلا فيقول: «أنا أهو يا أخي» (....)!! لا أحد حجة على الحركة الناصرية لأن كل ناصري يري في نفسه حركة.. وحجة!!

٢ - إن إختيار هذه القضية موضوعا لنا جاء إحتراماً للناصريين ولخطورة القضية (تحالفا أو تهادنا مع المتطرفين).

في معرض الكتاب عام ١٩٩٢(وقبل إعلان الحزب الناصري) جاء فريد عبدالكريم(وكان يومها ممثلا وحيداً للحزب الناصري) الى منصة المعرض للكلام باسم الناصريين في العلاقة مع إسرائيل والموقف من السلام (وكل هذه العناوين الكبيرة) وجاء ممثلا عن الحركة الأصولية الكاتب عادل حسين والذين حضروا هذه الندوة اكتشفوا أن الزمن انقلب، وأن فريد عبدالكريم قد يدفعه حماسه للإنضمام الى الاخوان المسلمين، نعم.. فقد تحدث عادل حسين وهو ممثل الأصوليين مستخدما كل مفردات السياسة ومصطلحاتها ومنطقها إفكارها، بينما تحدث فريد عبدالكريم في نصف ساعة وأكثر مستخدماً الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتعامل كأنه يخطب في صلاة جمعة في حي إمبابة.

لقد استخدم الرجل الدين وارتدى عمامته ونسي السياسية.. وقطعا ـ الناصرية!!

كان طبيعيا ان يتذمر كثير من الناصريين من هذا الأداء لفريد عبدالكريم، وكان طبيعيا أكثر أن يصموه بأي نعت سلبي.. وخلاص.

لكن المشكلة أن فريد عبدالكريم ليس وحده في هذا المضمار، لقد فوجيء الجميع في إحدى جلسات اللجنة المركزية للحزب

الناصري (التي عقدت في يناير ١٩٩٣في مركز المؤتمرات بمدينة نصر) أن أحد أعضاء اللجنة وقف أمام الميكرفون (لاأعرف هل يملك الناصريون محاضر هذه الجلسات..فيديو أو تسجيلاً صوتيا..أو كتابياً)قال هذا العضو (وكان من الصعيد) أن على الحزب المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية فوراً(....).

نعم.. لم يعلق أحد..لكن أحداً لم يرفض أو يناقش أو يطالب بتوضيح الموقف وإبراز الرأي وابراء الذمة!!

المشكلة أن هذا انتقل الي كافة قواعد الحركة الناصرية، هناك جهد منظم بين عدد من الناصريين للقيام بمحاولات في البحث الأكاديمي (لا هو بحث ولا هو أكاديمي) للإيحاء بالتلاصق والالتحام بين الناصرية والاصولية الاسلامية، لم يكن هذا إلا محض تلفيق وتدليس يقوم به البعض لمحاولة إثبات أن عبدالناصر لم يكن علمانيا(!!) وكأنه لم يقض عمره كله للدفاع عن عقلانية الدولة ووقوفا أمام التطرف والتجارة بالدين وكأنه لم يدخل صراعاً رهيباً وطويلاً ضد الإخوان المسلمين والنظم الرجعية المستخدمة للدين والمتاجرة به، دخل صراعاً معهم لأجل تقدم بلاده وتطور أمته وتحضر شعبه.

كأن عبدالناصر لم يفعل ذلك أبداً..

كأنه لم يكن علمانيا إطلاقا..

المحاولات لم تكن نظرية فقط بل انعكست كذلك في موقف انسحابي ضعيف وهش في كل الفترة السابقة حيث غلت نار التطرف واشتد غليانها، فاذا بالحزب الناصري تائه وشائه وبلا أي موقف وبلا أي حركة تجاه ما يحدث، وإذا كان عذره أنه بلا أي حركة أصلاً، وأنه لم يفعل شيئا في قضايا كثيرة حتى يحاسب على أنه لم يفعل شيئا في هذه القضية تحديداً.

اذا كان هذا عذرا يستكمل به سلسلة أعذاره عن تقصير حركته وتقلص جماهيريته وتراجع أدائه وتحلل دوره وتفكك أعضائه وتمزق رموزه، فإن له أعذاراًمقبولة في كل القضايا إلا قضية التطرف والإرهاب.

فهي القضية المحورية التي رفعها عبدالناصر على كتفه وهى سر عداء أنظمة كثيرة له أدت إلى تحالفها ضده حتى تجرع سم الهزيمة في يونية ١٩٦٧(!!)..

وهي صراعه الحضاري والفكري والسياسي، ولم يكن صراعا تنظيمياً أو معركة أمنية ضد تنظيمات لقلب نظام الحكم (!!)..

• • •

إن الناصريين لم يفعلوا أكثر مما فعلت أحزاب كثيرة، بل والحكومة نفسها (!!)

نعم.. لقد لعب الكل بالدين (....: وتاجروا به) وتستروا على

الإرهاب وتحالف القوامع المتطرفين، فاذا كان تليفزيون الحكومة يعرض علينا ولنا صباح مساء برامج لشيوخ التطرف ورموزه ومحركي الفتنة وباعثي التعصب،هؤلاء الشيوخ الذين أسلموا مصر وشعبها لأفكار بدوية ومتعصبة لاتمت للإسلام بصلة (!!)..

وهذه هي الحكومات التي تركت المتطرفين ينهبون جسد مصر وعقلها في الجماعات والمدارس وسهلت لهم التحرك والتنظيم والمال - وأحيانا الأسلحة - وأسمتهم المجاهدين.

وتواطئو معهم وفتحوا لهم أبواب مصر لغزوها وإحتلال قلبها وعقلها وسلموا المتطرفين ارقام خزينة العقل المصري ليستولوا عليها ويفلسوا «عقل» مصر من كل منطق وفكر، ثم ساعدوا الجماعات أيضاً لبناء تنظيماتهم ومساجدهم واطلقوهم في الصعيد يفعلون ما يريدون ويأمرون ويتسيدون ويحكمون..ثم أخيراً جداً أفاقوا حين مست النار شعور رؤوسهم وأطراف أصابعهم حين قتلت السياحة واغتيلت الأموال(!!).

إذا كانت الحكومة أول من تحالف مع المتطرفين.. فقد كان طبيعياً ان يتحالف الجميع، ويتاجر الجميع.. إلا الناصريون.. ولكنهم - ياللحسرة - فعلوها!!

إن المتتبع لكل ما يكتبه الناصريون عن أحداث العنف والإرهاب في الشوارع المصرية يجد لهفة ولهثاً لإلقاء تهمة

التفجيرات على الموساد الإسرائيلي، وقد يكون الأمر كذلك (!!) لكنه ليس صحيحاً على إطلاقه كما ان الجماعات المتطرفة ليست حملاً وديعاً ولا ملاكاً طاهراً يستخدم الموساد أسمه.. والحقيقة أن الموساد لم يستخدم الاسم فقط، بل أستخدم الأسم والصورة والأشخاص والعناصر والتنظيمات والجماعات (!!).

إن الناصريين ـ في محاولتهم ليكونوا حزباً معارضاً ـ شنوا الهجوم على الحكومة واتهامها بكل النواقص (والحقيقة أنه ليس أكثر من النواقص في الحكومة) إلا أنهم لم يفرقوا بين كونهم معارضين للحكومة ومعارضين للوطن (!!)..

ويقول ضياء الدين داود: ـ التيار الاسلامي قوي في المجتمع لايمكن انكاره لابد من مواجهته بفكر وحوار، ولو انطلقت الحياة السياسية للحوار والتلاقي بين القوي السياسية والتيار الإسلامي فإن هذا سوف يساعد على نضوج التيار الإسلامي وتخطيه مرحلة الشعارات الى الواقع والحوار السياسي المفتوح، وهذا رأينا وحصيلة رؤيتنا ـ الأهالي ١٩٩٣/٨/٤.

والحقيقة ان هذا أيضا رأي اللواء عبدالحليم موسى وزير الداخلية السابق وحصيلة رؤيته (!!)...فقد سعي لحوار ـ ووساطة مع المتطرفين نفس ما سعى (ونفذها) ضياء الدين داود وأنصاره وناصريوه (!!)..

ولا أعرف هل يدرك الناصريون أن الاسلاميين ضدهم قلباً وقالباً.

وأنهم يكفرون عبدالناصر كما يكفرون الجميع (!!) وأنهم ضد علمانية الدولة وعقلانيتها.

وأنهم يدعون إلى «الحاكمية».. هل الجماعات تخلت عن ذلك (متى؟!)

أم أن الناصريين وافقوا على ذلك (أين؟!)

هل - مثلا - لو وصل المتطرفون للحكم سيتركون مساحة للحزب الناصري(!!).

المشكلة أن الناصريين - ولا أفهم أي عبقرية أشارت عليهم بذلك - قرروا التوافق مع الأصوليين «عنداً في الحكومة»، و«احراجاً للنظام» وضغطاً عليه سعياً لإسقاطه (!!)..

لكن تحالف الناصريين مع الجماعات حب من طرف واحد، فضلا عن أنه طرف بلا أي مميزات تدعو أحداً (وما بالك بالمتطرفين) للتنازل له عن بعض أشياء.(حتى لو كانت التخلي عن تكفير رجل ميت هو جمال عبدالناصر!!) لكن الحب - والجهل - يعمي ويصم..إن الناصريين تخلوا عن المواجهة الحضارية للتفكير الظلامي والتجارة بالدين، واكتفوا بفتات الطعام السياسي الذي يتساقط من مائدة المتطرفين، لذلك فإن الهدنة والمصالحة

والتحالف ليس بالصمت عن جرائم التطرف، ثم عن أفكاره (لم أقرا رأياً أكثر تهادنا وضعفاً وهشاشة مثل رأي فريد عبدالكريم في فتوي الغزالي بقتل المرتد..يليه رأي ضياء الدين داود - في الاهالي ٩٣/٨/٤ لم يكتفوا بذلك،بل يحاولون تبرئة الإرهاب من دم مصر، بالقاء اللوم على الموساد حينا وعلى التورط الأمني حينا آخر (من يقرأ مقال ضياء الدين في جريدة العربي عقب حكم براءة المتهمين بقتل رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب السابق يتأكد ان ضياء يتهم الحكومة أو الأمن - بقتل المحجوب حتى تستطيع الحكومة بيع القطاع العام)!!

إن مشكلة الناصريين والحزب الناصري هي مشكلة مصر كلها (حكومة ومعارضة) إنهم - جميعا - خلو من الديمقراطية.. تطالب المعارضة بالتغيير وأنا معهم تماماً لكن الفارق بيني بين وبينهم أنني لا أطالب بتغيير الحكومة وإطلاق حرية تكوين الأحزاب وإصدار الصحف والانتخاب الحر المباشر للرئيس فقط، بل أطالب أيضاً بتغيير المعارضة.

إنهم جميعاً يحكموننا (حكومة ومعارضة) من القبور.. قبور مصطفي النحاس وأحمد حسين وعبدالناصر وحسن البنا وسيد قطب وأنور السادات. بينما نريد أن نعيش خارج «جبانة» التاريخ قليلاً.

إن الكثيرين ـ وأنا معهم ـ ضد أسلوب المبايعة التى جرت لرئيس الجمهورية وطريقتها ، ويطالب البعض ـ ونحن منهم ـ بتعديل الدستور بحيث لا تصبح مدة انتخاب الرئيس مفتوحة مدي الحياة.. لكن ماذا تفعل أيضاً في المعارضة التي يحكمها زعماؤها مدى الحياة.

إن فؤاد سراج الدين يحكم الوفد منذ ٤٥ عاماً (وليس ١٢ سنة فقط) ولم نسمع عن مرشح ضده وانتخاب حر له كذلك إبراهيم شكري الذي يحكم حزب العمل منذ نشأته (١٦ عاماً) وآخر «مبايعة» له كانت بالتصفيق (الحر المباشر) وبلا انتخابات وبلا منافسات وبلا مرشحين (وربما مثل نفس المرشحين الذي تم منعهم مجلس الشعب من تقديم أوراقهم للترشيح لرئاسة الجمهورية) وحزب التجمع يحكمه خالد محي الدين منذ نشأته عام (١٩٧٦) ولم نسمع عن مرشحين ضده أو نص لائحي بمنع إنتخابه مدي الحياة، كذلك حزب الأحرار ومصطفي كامل مراد الذي زاد على ذلك بعدم إقامة أية مؤتمرات للحزب ولا حتي انتخابات، ولايزال يحكم حزبه منذ ١٧ عاماً.

أما الناصريون، فها هو إنتخاب ضياء الدين داود تم «بالتصويت وقوفاً» ثم صاح الفريق محمد فوزي بعنف يؤنب هؤلاء الشباب الصغار الذين حاولوا أن يرشحوا أنفسهم ضده (نفس تأنيب مجلس الشعب!!)...

وكلهم انتخبوا بالإجماع والمبايعة (لانفرق بين احد منهم).

إنها ـ حقا أزمة مجتمع وكارثة وطن ـ والف رحمة نور على جمال عبدالناصر في كل ذكرى لوفاته حيث مات ـ رحمه الله ـ مـرتين.. واحـدة في سـبـتـمـبـر والأخرى حين أصدر باباوات النـاصـــريين صك الغــفــران للإخــوان المسلمين من دم عبدالناصر(!!)

الزعماء العرب

تعليقاً على ضرب لبنان.. وغير لبنان

اضربوا لبنان أكثر..

افعلوا فيها ما تريدون..

فنحن لن نفعل شيئاً..

نحن لن نتحرك ولن ننطق ولن ندافع ولن نقاوم ولن نصمد ولن نتحرك ولن نتوقف ولن نتقدم ولن نتأخر.. ولن نرد ولن نصد ولن نغضب ولن نلعن ولن نصرخ ولن نبكي.

فاضربوا لبنان أكثر..

بارك الله في مدافعكم وطائراتكم وقذائفكم وبيل كلينتونكم ووارن كريستوفركم ومجلس أمنكم وثدي أمكم الذي أرضعكم الشجاعة والصراحة والوقاحة بينما قضي سرطان الثدي على الكرامة العربية.

إضربوا لبنان أكثر.

فنحن لو منكم نضربها أكثر وأكثر بل لانتوقف عن ضربها أبدا فلا شيء يحدث من العرب إلا بيانات الاستنكار والشجب.

والشجن ـ (لاحرمنا الله منها) لا أكثر من صورة الصفحات الاولى (وتلك المرأة التي تظهر في الصورمنذ أكثر من ٤٠ عاما تولول وتمسك بإبنها هاربة من القذائف!)

اضربوا لبنان أكثر..

فأنتم لم تتوقفوا يوما عن الضرب ،ونحن لم نتوقف يوما عن الصمت.

اضربوا لبنان بالأسلحة واضربونا نحن بالأحذية نحن جثث ملقاة في مستنقع العجز والصمت والسكوت والسكون، نحن شعوب منقسمة منقادة وراء حكام منقسمين، نحن لاننتمي الي أنظمة حاكمة، نحن ننتمي الي أنظمة بال وسكام، نحن ـ في الحقيقة ـ لاننتمي إلا إلى الخرافات والخزعبلات ومقامات الموسيقي ومقامات أولياء الله الصالحين.

نعم أنتم من عالم مختلف عنا، هذا الصراع الدائر بين الغرب وإسرائيل.. وبينا ، صراع حضاري ونحن نهجر الحضارة بإنتظام، نحن لاصلة لنا ـ من قريب أو بعيد ـ بأصل الحضارة وهو العلم والديمقراطية، نحن دخلنا الي التاريخ عن طريق الخطأ وسنخرج منه على سبيل الصدفة، نحن مشغولون بفتاوي تحريم الفن ومن هو المرتد ووقف الغزو الأجنبي القادم مع الأطباق الهوائية ونمنع تدريس كتب طه حسين ونهاجم المفكرين ونغرق في

بحس من الفساد السياسي والمالي والديكتاتوريات المعلقة بابتسامة الرؤساء والحكام في صور رسمية معلقة وراء مديرى مصالح البريد والتمغة والمصل واللقاح!!

نحن غرقى في الحمق السياسي والديني المتطرف والحمي اللاهثة للنفاق وراء صدام حسين والملك حسين والمعمر قذافي وخدام العروش والحرمات والأمراء.

نحن يحكمنا حكام منذ قرون (تتغير وجوههم فقط ولا تتغير مسدساتهم أو عقولهم): وقادة أحزاب يحكمونها - بدورهم عشرات السنين.. ونتصارع كلنا على الماضي.

نحن شعوب تستحق أن تقذف اسرائيل - لأجلهم - لبنان وغير لبنان.

لو سألنا مواطنا في شارع بوش بالكويت أو شخصا عابرا بالصدفة في أحد أحياء المغرب ، هل سمعت عن ضرب لبنان، لو سألنا موظفا يخرج من مصلحة حكومية هل سمعت عن ضرب لبنان، قد يقولون لك.. أبدا؟! أو دعهم يضربون.. عملوا لنا إيه الفلسطينيون؟! (ينسي البعض أن سكان لبنان لبنانيون). وهم نفس المواطنين الذين ستجدهم مشغولين في جدة ببرامج محطة تليفزيون الشرق الأوسط.. وهم أيضا الذين يكتبون في صحفهم يُحملون حزب الله مسئولية ماحدث؟

منذ ٨٩٧ عاما فرح بعض العرب بقدوم بعض الحكام الصليبيين الى القدس حتى يتخلص الحكام العرب من الحكام العرب.

ومنذ ٧٩٧ عاماً استعان بعض الحكام بالصليبيين ليتخلصوا من بعض الحكام العرب.

ومن ٦٩٧ عاماً و٤٩٧ عاما و٣٩٧ عاما ومنذ ٩٧ يوماً..باع العرب كل ما يمكن بيعه للفرنجة.. للغرب.. للأمريكان من أجل بعض المقاعد وبعض السلطات وبعض الحكام (!!)

وهم أنفسهم السعداء بالتخلص من حزب الله، حيث لا علاقة لله بهذا الحزب. ولا بهذا الحزن!! إن الرئيس الأمريكي يشكر سوريا على ضبط النفس (لم نسمع يوما أن دولة عربية لم تضبط نفسها!!) ثم تطالب إسرائيل بعدم اللجوء الى الهجوم البري «وليه يا راجل» هذه هي العدالة الامريكية التي تشترط على العراق أن يضع كاميرات تليفزيونية على مداخل هيئة الطاقة النووية، وهي نفسها العدالة الامريكية التي تحاسب ليبيا على طائرة مشتبه في نسفها!!عدالة أمريكا ليست محل جدل أو نقاش.. إنها عدالة فوق الجميع ثم إن كل حكامنا العرب راضون على هذه العدالة، ساعون اليها، ويزدحمون - بوفودهم ومندوبيهم ورجالهم - في مفاوضات السلام بالشرق الأسط هذا هو السلام وهذه هي الشرق الأوسط وهذا هو نحن؟!

نحن العرب الذين أجروا كرامتهم ورهنوا قرارهم ودماغهم وحياتهم وأعضاءهم التناسلية لمن يدفع أكثر، ولمن يضرب أكثر.

الغلاف

زينة سامح حسان

تصميم أحمد محمود

تصميم الغلاف: [illegible]

سألني:

هل يمكن [illegible] الشيء [illegible] إلى شيء؟

قلت - أيضاً - إنه شيء جماهيري باسم [illegible]

فإن أنا من [illegible] أو [illegible] ذات أهمية كبيرة

لأنها ذات [illegible]

[illegible]

[illegible]